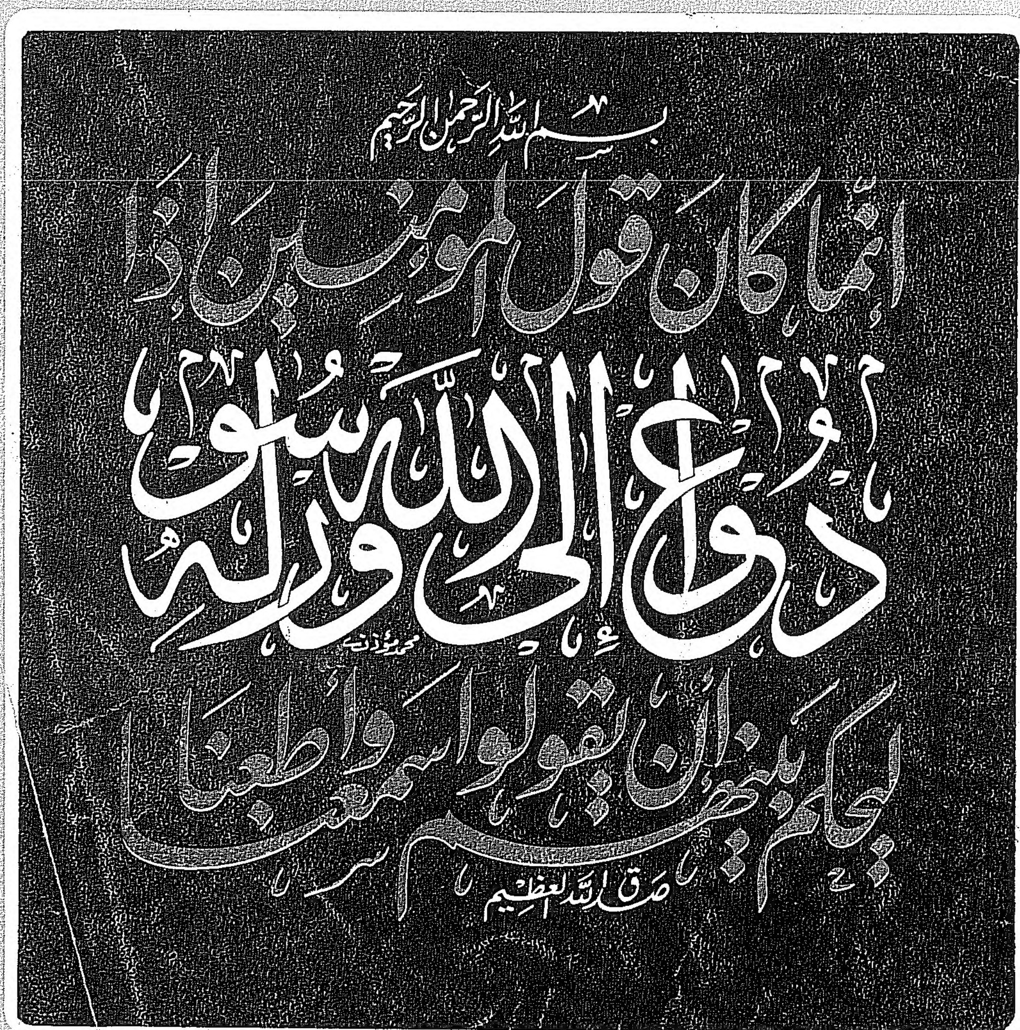
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٢٢/ جمادي الآخرة ١٤٠٣ هـ مارس / ابريل ١٩٨٣م.



هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

كُلُّ المُسلمِ على المُسلمِ حَرامٌ

دمه وماله وعرضه

حديث شريف

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٢ - جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ - مارس / ابريل ١٩٨٣ م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص ب ٤٢٢٨ - بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

الإسلام دعوة ربانية

أما أنها ربانية ، فلأنها وحي من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بما يهدي الناس ويرشدهم إلى الحق . كما قال تعالى مخاطبا رسوله : (نزل به الروح الأمين.على قلبك لتكون من المنذرين.بلسان عربي مبين) . ومهمة رسول الله فيما يوحي إليه هي تلقيه والعمل به ، وتبليغه للناس ، ولا دخل للنبي فيما أوحى الله به إليه من حكم شرعي أو غيره . فعلم الغيب لا يجيء اكتسابا ، وإنما الله تعالى هو الذي يطلع على غيبه من يختار من رسله . يقول تعالى : (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) . ويقول جل شأنه : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا.إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا.ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا)

ومن ثم كان الأساس الذي تعتمد عليه دعوة الاسلام أن يتعرف الناس إلى ربهم ، وأن يكونوا على صلة به سبحانه ، وأن يستمدوا من هذا التعرف وتلك الصلة روحانية كريمة تزكي أنفسهم ، وتسمو بها عن جمود المادة وجحودها إلى طهر الأنسانية الفاضلة وجمالها:(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) .. (يايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)

وأما أنها إنسانية ، فلأنها موجهة إلى الناس جميعا . (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) .. (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .. (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) .

والناس بينهم أخوة عادلة رحيمة أصلهم واحد ، وأبوهم واحد ، ونسبهم واحد ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير وبر:(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) .. وفي الحديث الشريف الذي يرويه المختار صلى الله عليه وسلم عن ربه ما معناه ، « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة : يا بني آدم جعلت نسبا وجعلتم نسبا فقلتم فلان بن فلان ، وقلت : إن أكرمكم عند الله أتقاكم فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم »

ولهذا فضل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتهم إلى الله تعالى ، ويجعلوا أساس صلاتهم ومحور أعمالهم تحقيق هذه النسبة الشريفة فيجيب أحدهم من يسأله عن أبيه أتميمي هو أم قيسي ؟

أبي الاسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وإذا كان من بين زعماء الغرب من يقسم الجنس البشري إلى مبتكرين ومحافظين ومخربين .. ويعتبر فريقا من الغربيين

مبتكرين وفريقا آخر محافظين ، ويعتبرنا نحن الشرقيين وما إلينا عدا هذين مخربين ومدمرين فهذا التقسيم باطل وظالم . إذ أن الجنس البشري كله مرده إلى دم واحد ، وطينة واحدة ، وإن اختلفت البيئات والأوساط والمدارك والثقافات ، وإذا هذب الانسان استطاع أن يرتقى بقدر ما يصل إليه من تهذيب ، وليس هناك جنس من بني آدم يتعذر إصلاحه أو تستحيل تربيته في حدود ظروفه وبيئته الخاصة به .. على أن الشرق الذي وضعوه في صف المخربين والمدمرين منه انبعثت المدنيات ، وأشرقت الحضارات والرسالات ، وهو الذي أفاض ذلك على الغرب . لا ينكر ذلك الا الجاحدون المكابرون . ومثل هذه المزاعم الباطلة ما هي إلا نزوات من غرور الانسان ، وطيش الوجدان . لا يمكن أن تقوم على أساسها نهضات سليمة ؛ أو تستقر على قاعدتها مدنيات نظيفة .. وما دام في الناس من يشعر بمثل هذا الشعور الخاطىء نحو أخيه الانسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان .

وطريق الأمن والسلام والاطمئنان هو عودة الناس إلى علم الأخوة يرفعونه خفاقا ، ويستظلون بظله الوارف الأمين ، ولن يجدوا سبيلا معبدة إلى ذلك إلا سبيل الاسلام الذي يقول كتابه : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من مات على عصبية »

إن من واجب الأمة التي اختارها الله لحمل رسالته أن تقيم الأخوة فيما بينها على الأساس الذي رسمه الله ، وأن تربط العالم برباط تلك الأخوة ليدرك قدر النور الذي أشرقت به الرسالة الانسانية الخالدة : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) . وبذلك يكون الأمن والطمأنينة والسلام .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



للدكتور/ حامد صادق قينبي

■ الليل هو زمان غياب الشمس من حين غروبها واستتارها الى طلوعها وظهورها وهذا هو الليل الطبيعي . والنهار هو الزمان بين طلوع نصف قرص الشمس من المشرق الى غيابه في المغرب .

والليل والنهار من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، ولولاهما لعدمت الحياة على الأرض ، وأصبح نصفها المواجه للشمس مستعرا من الحرارة ، ونصفها الآخر متجمدا من البرودة .

قال تعالى : (**الله الذي جعل الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون**) غافر / ٦١ .

فالليل والنهار من آيات الله الدالة على وجوده وعظمته وقدرته . قال تعالى :

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) فصلت / ٣٧ ، وقال أيضا : **(إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون)** يونس / ٦ ، وقال أيضا : **(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)** آل عمران / ١٩٠ ، وقال أيضا : **(والله يقدر الليل والنهار)** المزمل / ٢٠ .

فالله سبحانه وتعالى هو الذي قدر الليل والنهار ، أي جعل لكل منهما قدرا معينا ، وحدا محدودا : لا يتجاوزانه مهما اختلفا وتعاقبا : **(لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار)** يس / ٤٠ ، وقد دبر ذلك على حسب مصالح البشر ، ويقدر ما يحتاجون اليه من سكون ليلهم للنوم والراحة ، وحركة نهارهم للسعي وطلب المعاش ، ولو تحولت تلك المقادير الى غير ما قدره الله ودبره في خلق الليل والنهار لاختل أمر البشر ، أو كان لهم نظام غير ما هم عليه الآن ، فالواجب عليهم إذن أن يرضوا بما قدره لهم ودبره : من نواميس عالمهم هذا ويطيعوه فيما رسم من الحدود والأحكام ، تفسير جزء تبارك ص ١٨٨ .

ومعنى اختلاف الليل والنهار « أن يجيء أحدهما فيذهب الآخر ، ويطول هذا فيقصر ذاك ، وكل ذلك بحسبان مطرد في جميع الأقطار والبلدان ، ومثله اختلاف الفصول باختلاف مواقع العرض والطول » تفسير المنار ٥٨/٢ .

فالله سبحانه وتعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل . قال تعالى : **(تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب)** آل عمران / ٢٧ .

- **(يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)** النور / ٤٤ .
- **(وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا)** الفرقان / ٦٢ .
- **(ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير)** لقمان / ٢٩ .
- **(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور)** الحديد / ٦ .

ومعنى يولج يدخل . فالله سبحانه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، أي يدخل الظلام في مكان النور كما يدخل النور في مكان الظلام ، فهما يتبادلان المكان لدوران الأرض حثيثا حول نفسها .

ومن المشاهدات التي أدلى بها رجل الفضاء الروسي « جاجارين « ، بعد دورانه حول الأرض : أنه شاهد « تعاقبا سريعا » للظلام والنور على سطح الأرض بسبب دورانها المحوري حول الشمس .

وفي تعاقب الليل والنهار من دوران الأرض حول نفسها عجيبة باهرة ، فلولا هذه الدورة لظل النهار نهارا والليل ليلا ، وما كانت حياة أبدا ، بل فناء دائم . وصدق

الله العظيم : (**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**) القصص / ٧١ ـ ٧٣ .

ويزحف الظلام على مكان النور حينما يزحف النور على مكان الظلام فيدور كلاهما على سطح الأرض ويجري كلاهما وراء الآخر مستديرا يطلبه حثيثا كما وصفه الله تعالى : (**يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**) النور / ٤٤ .

ولأن الليل والنهار وما فيهما من مشاهد الفجر والعصر أقسم الله بهما آيتين عظيمتين ، وقد التفت « ابن قيم الجوزية » الى اختلاف أحوال الليل والنهار في أقسام القرآن ، وتأوله بأن الله سبحانه يقسم بالليل في جميع أحواله ، اذ هو من آياته الدالة عليه ـ انظر التبيان في أقسام القرآن ص ٥ لابن قيم الجوزية تحقيق طه شاهين ـ قال تعالى : (**والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها**) الشمس / ١ ـ ٤ .

ـ (**والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى**) الليل / ١ و ٢ .

والملاحظ أن القسم بالليل قد تكرر مرات عديدة ، إما مع النهار ، أو مع الفجر أو الصبح أو الضحى ، وإما مع الشمس أو القمر . أو بعبارة أخرى مع كل ما يدل على الوضوح والظهور من مشاهد الكون فمن ذلك قوله تعالى : (**كلا والقمر . والليل إذ أدبر . والصبح إذا أسفر**) المدثر / ٣٢ ـ ٣٤ .

ـ (**والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق**) الانشقاق / ١٧ و ١٨ .

ـ (**والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر . والليل إذا يسر**) الفجر / ١ـ٤

ـ (**والضحى.والليل إذا سجى**) الضحى / ١ و ٢ .

ـ (**فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس**) التكوير / ١٥ ـ ١٨ .

وفي اختلاف الليل والنهار تحقيق منافع ومصالح للخلائق . قال الفخر الرازي : « اعلم أنه تعالى أقسم بالليل الذي يأوى فيه كل حيوان الى مأواه ، ويسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة لأبدانهم وغذاء لروحهم ، ثم أقسم بالنهار اذا تجلى لأن النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم وتتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكامنها ، فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ، ولو كان نهارا كله لبطلت الراحة ، لكن المصلحة في تعاقبهما » التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام الفخر الرازي ٣١/٢٠٧ .

ومن مظاهر رحمة الله أن قسم حياة الانسان بين العمل والراحة أو بين الحركة والسكون ، اذ لو كانت حياة الانسان عملا خالصا لانتقصت قواه ، وما أستطاع

أن يمضي في حياته وعمله ، وما تقتضيه شئون عيشه من حركة . فمن بر الله به ورحمته ، أن جعل له النهار معاشا ، والليل سكنا ، ولو كانت حياته نهارا محضا لضعفت قوته ، ولما أتيح له من الاستطاعة والطاقة ما مكنه من الرقي بالحياة الانسانية وإحداث ما هيأ لها من حضارة ومدنية ، ولو كانت حياته ليلا صرفا ما تبين له شيء في الوجود ، ولبطلت حركته وبطلت معها حياته ، وصار موجودا كالعدم وحيا كميت . واقرأ معي آيات سورة القصص من ٧١ ـ ٧٣ .

فالله تعالى شأنه جعل للانسان النهار ليلتمس فيه معاشه مبتغيا من فضل ربه ما يحفظ له وجوده ويصونه ، وما يدفعه الى الرقي والنهوض ، مسخرا له كل شيء في الوجود من الكواكب ، وغير الكواكب ، كي يرقى بحياته مراتب الرقي والكمال ، وكي يصعد بهما في منازل السمو التي يريدها . ولما كان ذلك يحتاج منه الى تعب وعناء ، وكان لابد للمتعب من سكون تهدأ فيه حركته ، ويكون راحة له وجماما من تعبه وعنائه ، خلق الله الليل حتى يريح جسده فيه من الحركة ، وجعل له النوم فيه ، حتى يسكن جسده سكونا تاما وتسكن روحه ويسكن فكره ، فاذا كل ما فيه ظاهرا وباطنا قد سكنت حركته ، حتى ليغيب عن كل ما حوله ، بل حتى ليغيب عما يمسك بيده ، فاذا كان فيها شيء ونام استرخت يده ، وانفتحت أصابعه وباينها ما كانت تمسكه .

وتتضح حاجة الإنسان الى النوم اذا سهر ليلة ، فانه في الليلة الثانية يغلبه النوم ، ويقهره ولا يستطيع مقاومته ، مما يدل على حاجة الإنسان اليه بأشد مما يحتاج الى الدواء لعلله وأمراضه . وفي ذلك ما يصور نعمة الله على الانسان ، إذ جعل له النهار للحركة وطلب العيش والليل للراحة والنوم ، وجعلهما متعاقبين ليتوالى العمل والراحة ، فينشط للعمل بعد الراحة وما حقق لنفسه من الجمام ، ويلتذ الراحة بعد العمل وما اقتضاه من التعب . أنظر سورة الرحمن وسوراً قصاراً ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧ شوقي ضيف .

ويقول تعالى : (**وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا**) النبأ / ٩ ـ ١١ ، « والسبات بضم السين الموت ، والمسبوت الميت ، من السبت وهو القطع ، والنوم أحد الموتتين ، ونعمة الله فيه كبيرة ، فان موت بضع ساعات في اليوم يريح القوى من تعبها ، وينشطها من كسلها ، ويعيد اليها ما فقد منها ، ولو لم يكن النوم موتا واليقظة بعثا ، لم يتم هذا التجديد للقوى ، وتشبيه الليل باللباس بجامع الستر ، لأن الليل يستر الأشخاص بظلمته ، وللناس في هذا الستر فوائد ، والمعاش الحياة ، فكما جعل النوم موتا جعل اليقظة حياة ، والنهار زمن هذه الحياة ، أي جعل النهار وقت معاش يستيقظون فيه ويتقلبون في حوائجهم ومكاسبهم » تفسير جزء عم ص ٦ .

فالليل سكينة وقرار ، والنهار نشاط وعمل ، وهما من مشاهد الكون وتدبير الخالق العزيز واختياره . ولكن الناس لطول ما اعتادوا من كر الجديدين ينسون

جدتهما المتكررة التي لا تبلى ، ولا يهزهم طلوع النهار ، وإقبال الليل الا نادرا ، ولا يتدبرون ما في تواليهما من رحمة بهم ، وانقاذ من البلى والدمار ، أو التعطل والبوار ، أو الملل والهمود .

والقرآن الكريم يوقظ الناس من همود الإلف والعادة ، ويدعو الى تملى الكون ومشاهده العظيمة .

ولعل من تمام المقال هنا أن نعرض لظاهرة النوم التي فطر الإنسان عليها . والنوم أشبه بالموت ، والأستيقاظ منه أشبه بالبعث ، قال تعالى : **(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون)** الروم / ٢٣ .

نعم ، إن النوم من آيات الله سبحانه ، فهو ضرورة للحياة ، ونعمة ، كما أنه راحة ورحمة ، وقد وضع القرآن النوم شرطا أساسيا لكل حي ، كما أكد الطب أن النوم ناشيء عن تغييرات كيميائية في الأنسجة البدنية تحدث من الحركة ، فانه اذا ما استمرت هذه التغييرات ومنع الإنسان النوم قهرا صاحبها أو تلاها الموت حتما . ذلك أن النوم يرجع هذه التغييرات الكيميائية الى ما كانت عليه قبل الحركة ، وذلك ما يشير اليه قوله تعالى : **(وأبتغاؤكم من فضله)** أي العمل والتفكير ، والنشاط والحركة في سبيل الكسب ، بعد النوم بالليل والنهار ، فلولا النوم بالليل والنهار ، ما ابتغى من فضل الله حي من انسان أو حيوان ، اذ في النوم ليلا أو نهارا يسترد الحي ما بذله من قوى وما فقده من بدنه في سبيل العمل والسعي .

فما النوم إذن الا تجديد يعيد الى الجسم نشاطه وقوته ، كما يعيد الى عقل الإنسان صفاءه وقدرته ، فكل حي لا يحتمل أستمرار الحياة بلا راحة منها ، بل لأبد له أن يكفَّ عنها حينا بالموت الوقتي وهو النوم ، ليستطيع أن يحيا ويعمل ويفكر ثانيا ، وذلك دليل على ضعف الأحياء واحتياج كل حي الى الراحة والى ترك الحياة بالنوم من وقت لآخر . معجزة القرآن ـ نعمت صدقي ص ٢١٢ و ٢١٣ .

وفي الآية أشارة الى أن النوم والسعي للراحة والرزق ، قد يقعان في الزمنين بالاختيار ، فيمن يتساوى عندهم الليل والنهار أو يقربان من التساوي . أما الذين لا يستويان عندهم ـ وهم من يسكنون طرف الأرض عند القطبين ـ فإنهم ينامون في أنهرهم وأليلهم بقدر الحاجة والاضطرار ، لأن الليل والنهار يمتدان عندهم الى شهور حين يتعاقبان ، فلم يهمل القرآن في هذه الآية حكما عاما للنور والظلمة ، وما يصنعان على الأرض من أختلاف قياسهما فيقع النوم واليقظة فيهما جميعا . كذلك أمتدت نظرة الآية وحسابها الى عصور الكهرباء حين أضافت مدنيتها من أجزاء الليل الى النهار ، أوردت الليل الداجي كله نهارا مضيئا ، وجعلت النوم طريدا من ضجيج الآلات والدواليب ، وألقته على عمالها قهرا وجبرا حيثما أتفق لهم في ليل أو نهار . أنظر أشارات العلوم في القرآن الكريم ـ عبد العزيز سيد الأهل ص ١٥٤ وما بعدها .

حول مدلول «ساعة»

الساعة أصلها جزء من الليل والنهار لا يلحظ فيه التحديد ، وأطلقت الساعة معرفة في القرآن الكريم على يوم القيامة .

ساعة

وردت الساعة بالمعنى الأول في الآية ٣٤ من سورة الأعراف : « **ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » ، والآية ١١٧ من سورة التوبة : « **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم** » ، والآيتين ٤٥ ، ٤٩ من سورة يونس : « **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين** » « **قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل ، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » والآية ٦١ من سورة النحل : « **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ، ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » والآية ٥٥ من سورة الروم : « **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون** » والآية ٣٥ من سورة الأحقاف : « **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا**

في القرآن الكريم

الدكتور محمد سعد حسن فشوان

ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون » (راجع مادة س و ع - معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

ولم ترد « ساعة » منكرة في القرآن الكريم في غير ذلك من الآيات المتقدمة وهذه نظرة طائرة للآيات نقف من خلالها على ما تضمنته من العظات والعبر وما اشتملت عليه من القضايا التي تهم المسلم في يومه وغده ان شاء الله .

ورد في « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسير آية الأعراف : « ساعة » ولا أقل من ساعة الا أن الساعة خصت بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات .

وقوله تعالى : « **ولا يستقدمون** » يدل على أن المقتول انما يقتل بأجله ، وأجل الموت هو وقت الموت ، كما أن أجل الدين هو وقت حلوله ، وكل شيء وقت به شيء فهو أجل له .

قال كثير من المعتزلة الا من شذ منهم : ان المقتول مات بغير أجله الذي ضرب

له ، وأنه لو لم يقتل لحيي ، وهذا غلط ؛ لأن المقتول لم يمت من أجل قتل غيره له ، بل من أجل ما فعله الله من ازهاق نفسه عند الضرب له .

فان قيل : فان مات بأجله فلم تقتلون ضاربه وتقتصون منه ؟ قيل : نقتله لتعديه وتصرفه فيما ليس له أن يتصرف فيه ، لا لموته وخروج الروح ، اذ ليس ذلك من فعله ، ولو ترك الناس والتعدى من غير قصاص لأدى ذلك الى الفساد ودمار العباد ، وهذا واضح . (حـ ٢٠٢/٧ نشر دار الكاتب العربي ١٣٧٨ هـ/١٩٦٧ م) .

وفي آيتي سورة يونس : « **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا** » أي في قبورهم ، « **الا ساعة** » استقصروا طول مقامهم في القبور لهول ما يرونه من البعث ، دليله « **قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم** » الآية ١٩ من سورة الكهف .

وقيل : انما قصرت مدة لبثهم في الدنيا من هول ما استقبلوا لامدة كونهم في القبر ، وقال ابن عباس : رأوا أن طول أعمارهم في مقابلة الخلود كساعة .

أما قوله « **يتعارفون بينهم** » **فمعناه كما قال الكلبي : يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا ، اذا خرجوا من قبورهم ، وهذا التعارف تعارف توبيخ وافتضاح ، يقول بعضهم لبعض : أنت أضللتني وأغويتني وحملتني على الكفر ، وليس تعارف شفقة ورأفة وعطف ، ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا أهوال يوم القيامة كما قال** « **ولا يسأل حميم حميما** » الآية ١٠ من سورة المعارج . وقيل : يبقى تعارف التوبيخ وهو الصحيح لقوله تعالى : « **ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم ـ الى قوله : وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا** » سبأ / من ٣١ الى ٣٣ . وقوله : « **كلما دخلت أمة لعنت أختها** » الاعراف / الآية / ٣٨ . وقوله : « **وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا** » الاحزاب / الآية ٦٧ . فأما قوله : « **ولا يسأل حميم حميما** » المعارج / ١٠ ، وقوله : « **فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم** » المؤمنون / ١٠١ ، فمعناه : لا يسأله سؤال رحمة وشفقة والله أعلم ، وقيل : القيامة مواطن ، وقيل : معنى يتعارفون يتساءلون ، أي يتساءلون : كم لبثتم ؟ كما قال : « **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** » الصافات / ٢٧ والطور ٢٥ ، وقال الضحاك هو تعارف تعاطف المؤمنين ، والكافرون لا تعاطف عليهم كما قال : « **فلا أنساب بينهم** » **والأول أظهر والله أعلم . (حـ ٣٤٧/٨ من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي)** .

وفي الآية الثانية من السورة بيان لحالة المشركين حين أستعجلوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب فقال الله تعالى له : قل لهم يا محمد « **لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله** » أن أملكه وأقدر عليه اذ ليس ذلك لي ولا لغيري فكيف أقدر أن أملك ما أستعجلتم فلا تستعجلوا ، « **لكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » .

وفي أية سورة النحل : « **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ..** » أقوال منها : أن

المراد بالآية العموم أي لو آخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر هذه الأرض من دابة ، من نبي ولا غيره ، وهذا قول الحسن ، وقال ابن مسعود : وقد قرأ هذه الآية : لو آخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان (دابة سوداء من دواب الأرض جمع جعل) في جحرها ، ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فمات الدواب ، ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل كما قال : « **ويعفو عن كثير** » .

فان قيل : فكيف يعم بالهلاك مع أن فيهم مؤمنا ليس بظالم ؟ قيل يجعل هلاك الظالم انتقاما وجزاء ، وهلاك المؤمن معوضا بثواب الآخرة .

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم . (حـ ١١٩/١٠ ، ١٢٠ من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) وفي صحيح مسلم : (على أعمالهم) .

نعم . لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهر الأرض من دابة « **ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » .

وفي آية سورة الروم : « **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** » ليس ردا لعذاب القبر اذ كان قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير طريق أنه تعوذ منه وأمر أن يتعوذ منه فمن ذلك ما رواه عبدالله بن مسعود قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة وهي تقول : اللهم متعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : "لقد سألت الله لآجال مضروبة ، وأرزاق مقسومة ، ولكن سليه أن يعيذك من عذاب جهنم وعذاب القبر » من أحاديث مشهورة خرجها مسلم والبخاري وغيرهما .

ومعنى « **ما لبثوا غير ساعة** » قولان : أحدهما : أنه لابد من خمدة قبل يوم القيامة فعلى هذا قالوا : ما لبثنا غير ساعة ، والقول الآخر : أنهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال تعالى : « **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها** » « **كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار** » الاحقاف/ ٣٥ ، وان كانوا قد أقسموا على غيب وعلى غير ما يدرون . (حـ ٤٧/١٤ ، ٤٨ من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) .

وفي آية سورة سبأ : « **قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون** » سبأ / ٣٠ ، الخطاب في « قل » لمحمد عليه الصلاة والسلام ، **وفي** « **لكم** » للمشركين ، ولذا قيل : أراد بهذا اليوم يوم بدر ، لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى . (جـ ٣٠١/٣٠٠/١٤ من المصدر السابق) .

وفي آية سورة الأحقاف « **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا**

تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار » الأحقاف / ٣٥ ، حث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يصبر صبر أولي العزم من الرسول ، قال مجاهد : هم خمسة : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وهم أصحاب الشرائع ، وهناك أقوال أخرى راجعها في المصدر السابق (حـ ١٦/٢٢٠) .

وقوله « **ولا تستعجل** » أي بالدعاء عليهم كما قال مقاتل ، وقيل : في احلال العذاب بهم ، فان أبعد غاياتهم يوم القيامة .

وقوله « **الا ساعة من نهار** » يعنى في جنب يوم القيامة ، وقيل : نساهم هول ما عاينوا من العذاب طول لبثهم في الدنيا .

وكل الآيات السابقات التي ذكرت فيها لفظة (ساعة) مكية ما عدا الآية الأخيرة فمدنية ومثلها آية سورة التوبة .

وقوله تعالى : « **الذين اتبعوه في ساعة العسرة** » التوبة / ١١٧ ، أي في وقت العسرة ، والمراد جميع أوقات غزوة بدر ، ولم يرد ساعة بعينها ، وقيل : ساعة العسرة أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة ، والعسرة صعوبة الأمر ، قال جابر رضي الله عنه : اجتمع عليهم عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء .

وقال عمر رضي الله عنه وقد سئل عن ساعة العسرة : خرجنا في قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع من العطش وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله : ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا ، قال : أتحب ذلك ؟ قال : نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى أظلت السماء ثم سكبت فملأوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

وقال ابن عرفة : سمى جيش تبوك جيش العسرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس الى الغزو في حمارة القيظ فغلظ عليهم وعسر ، وكان إبان ابتياع الثمرة .

قال : وانما ضرب المثل بجيش العسرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغزُ قبله في عدد مثله ، لأن اصحابه كانوا في بدر ثلاثمائة وبضعة عشر ، ويوم أحد سبعمائة ، ويوم خيبر ألفا وخمسمائة ، ويوم الفتح عشرة آلاف ، ويوم حنين اثنى عشر ألفا ، وكان جيشه في تبوك ثلاثين ألفا وزيادة ، وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم .

واذا كنا قد أدركنا أن طول الأعمار في مقابلة الخلود كساعة فعلينا أن نضاعف من عمل الصالحات في الدنيا ، وأن نعمل لما بعد الموت ، وأن يأخذ العبد من نفسه لنفسه ـ كما يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ـ ، ومن غناه لفقره ، ومن صحته لسقمه ، ومن الشباب قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الممات ، فما بعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار .

الساعة

أطلقت الساعة معرفة في القرآن الكريم على يوم القيامة ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في ستة وثلاثين موضعا ، موزعة في ثلاث وثلاثين آية .

فقد ورد ذكرها في الآية ٣١ من سورة الأنعام : « **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون** » .

وفي الآية ٤٠ من الأنعام أيضا : « **قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين** » .

وفي الآية ١٨٧ من سورة الأعراف : « **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند الله لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

وفي الآية ١٠٧ من سورة يوسف : « **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون** » .

وفي الآية ٨٥ من سورة الحجر : « **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل** » .

وفي الآية ٧٧ من سورة النحل : « **ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير** » .

وفي الآيتين ٢١ ، ٣٦ من سورة الكهف : « **وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ..** » « **وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا** » .

وفي الآية ٧٥ من سورة مريم : « **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا مايوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا** » .

وفي الآية ١٥ من سورة طه : « **إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى** » .

وفي الآية ٤٩ من سورة الأنبياء : « **الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون** » .

وفي الآيات : ١ ، ٧ ، ٥٥ من سورة الحج : « **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** » « **وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور** » « **ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** » .

وفي الآية ١١ من سورة الفرقان : « **بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** » .

وفي الآية ٥٥ من سورة الروم : « **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** .. » .

وفي الآية ٣٤ من سورة لقمان : « **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** » .

وفي الآية ٦٣ من سورة الأحزاب : « **يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا** » .

وفي الآية ٣ من سورة سبأ : « **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين** » .

وفي الآيتين ٤٦ ، ٥٩ من سورة غافر : « **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** » « **إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** » .

وفي الآيتين ٤٧ ، ٥٠ من سورة فصلت : « **اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد** » « **ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الي ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ** » .

وفي الآيتين ١٧ ، ١٨ من سورة الشورى : « **الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب . يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد** » .

وفي الآيتين ٦٦ ، ٨٥ من سورة الزخرف : « **هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون** » « **وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون** » .

وفي الآيتين ٢٧ ، ٣٢ من سورة الجاثية : « **ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون** » « **وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين** » .

وفي الآية ١٨ من سورة محمد : « **فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم** » .
وفي الآيتين ١ ، ٤٦ من سورة القمر : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » « **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** » .
وفي الآية ٤٢ من سورة النازعات : « **يسألونك عن الساعة أيان مرساها** »(١) .

* * *

وهذه الآيات كلها مكية ما عدا الآيات : ١ ، ٧ من سورة الحج وآية سورة الأحزاب ، وآية سورة محمد ، والآية ٤٦ من سورة القمر ، أما الآية ٥٥ من سورة الحج فبين مكة والمدينة .

ونزول معظم تلك الآيات التي تتحدث عن الساعة في مكة دليل على طبيعة المرحلة ، وهي المرحلة التي بدأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها بتبليغ الدعوة سرا ثم جهرا الى الناس ، وكان من الطبيعي أن يكثر الحجاج واللجاج بين الرسول ومشركي مكة ، وبخاصة في هذا الأمر الغيبي أو السمعي الذي صدق به المؤمنون وكذب به غيرهم من منكري الرسالة .

ولقد جاءت الآية ٤٠ من سورة الأنعام في محاجة المشركين ممن اعترف أن له صانعا ، فبينت الآية أن هؤلاء يرجعون الى الله عند الشدائد ، وسيرجعون اليه يوم القيامة أيضا فلم يصرون على الشرك في حال الرفاهية ، ويدعون الله في صرف العذاب حال عبادتهم الأصنام ؟ !
(انظر : القرطبي حـ ٦/٤٢٢/٤٢٣) .

وقد بينت آيات : الأعراف والأحزاب والنازعات صراحة ، وغيرها ضمنا كيف أن اليهود والمشركين لجوا في سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال اليهود : إن كنت نبيا فأخبرنا عن الساعة متى تقوم وكذلك قال المشركون لفرط إنكارهم ذلك (انظر القرطبي جـ ٧/ ٣٣٥/ ٣٣٦) هؤلاء المؤذون لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما توعدوا بالعذاب سألوا عن الساعة استبعادا وتكذيبا موهمين أنها لا تكون ، وقد أمر الله نبيه أن يقول لهم : علمها عند الله ، وليس في إخفاء وقتها عني ما يبطل نبوتي ، إذ ليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله عز وجل (انظر القرطبي حـ ١٤/٢٤٨) .

قال عروة بن الزبير : لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزل قوله تعالى : « **فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها** » (القرطبي حـ ١٩/ ٢٠٩ ، ٢١٠) والمعنى : في أي شيء أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال

عنها ؟ وليس لك السؤال ؟ ! .

وقد بينت آية الشورى أن الذين لا يؤمنون بالساعة يستعجلون بها عن طريق الاستهزاء ظنا منهم أنها غير آتية ، أو ايهاما للضعفة أنها لا تكون (القرطبي حـ ١٦/١٦)

وقد بينت آية النحل أن أمر الساعة ما هو « **الا كلمح البصر أو هو أقرب** » وقد اختلف في معنى ـ لمح البصر ـ فقيل : هو تمثيل للقرب ، كما يقول القائل : ما السنة الا لحظة ، وشبهه. وقيل : المعنى هو عند الله كذلك لا عند المخلوقين ، دليله قوله تعالى : « إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » و « أو هو أقرب » ليس « أو » للشك ، بل للتمثيل بأيهما أراد الممثل ، وقيل : دخلت لشك المخاطب ، وقيل : أو بمنزلة بل (انظر القرطبي حـ ١٠/١٤٩ ، ١٥٠) .

كما بينت آيات : الأنعام ، والأعراف ، ويوسف ، و ٥٥ الحج ، والزخرف ، ومحمد أن الساعة لا تأتي الا بغتة ، أي فجأة ، وهو تنبيه للناس على ما يحل بهم من الحسرة ، قال ابن عباس : تصيح الصيحة بالناس وهم في أسواقهم ومواضعهم ، كما قال : « تأخذهم وهم يخصمون » (القرطبي جـ ٧/٢٧٣) .

وأكدت آية الأعراف أن أمر الساعة ثقيل في السموات والأرض ، بمعنى أن علمها خفى على أهل السموات والأرض ، وكل ما خفى فهو ثقيل على الفؤاد أو أن مجيئها كبر على أهل السموات والأرض ، أو أن المعنى : لا تطيقها السموات والأرض لعظمها ، لأن السماء تنشق ، والنجوم تتناثر ، والبحار تنضب (القرطبي حـ ٧/٣٣٥/٣٣٦) .

وإذا كان الله قد أخفى أمرها عنا فما معنى قوله في سورة طه : « **إن الساعة آتية أكاد أخفيها** » ؟ روى عن سعيد بن جبير أنه قرأ « أخفيها » بفتح الهمزة ، قال : أظهرها « لتجزي » أي الاظهار للجزاء ، وقال الفراء : معنى « أخفيها » بفتح الهمزة أظهرها من خفيت الشيء : أظهرته ، وأنشد لامرىء القيس :

فان تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد أراد : لا نظهره . وقال بعض اللغويين : يجوز أن يكون أخفيها بضم الهمزة معناه أظهرها ، لأنه يقال : أخفيت الشيء وخفيته اذا أظهرته . فأخفيته من حروف الأضداد يقع على الستر والاظهار .

وقال الأنباري : وتفسير للآية آخر « إن الساعة آتية أكاد » انقطع الكلام على أكاد وبعده مضمر أكاد آتي بها ، والابتداء « أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى » قال ضابىء البرجمي :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكى حلائله

أراد وكدت أفعل ، فأضمر مع كدت فعلا كالفعل المضمر معه في القرآن . وقد

ظاهره النحاس في ذلك (راجع القرطبي حـ ١١/١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥) .
وقد بينت آية لقمان أن هناك خمسا لا يعلمهن الا الله : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث .. الآية » قال ابن عباس : هذه الخمسة لا يعلمها الا الله تعالى ، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعى أنه يعلم شيئا منها فقد كفر بالقرآن ؛ لأنه خالفه (انظر القرطبي حـ ١٤/٨٢ ، ٨٣) .

وقد بينت آيتا الأنبياء والشورى أن المؤمنين يشفقون من الساعة ، هؤلاء الذين يخشون ربهم بالغيب ، أي غائبين ، لأنهم لم يروا الله تعالى ، بل عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم ربا قادرا يجازي على الاعمال ، فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس ، وهم على خوف ووجل من قيام الساعة قبل التوبة (انظر القرطبي حـ ١١/٢٩٥) .

وتؤكد آية سورة محمد أن للساعة أشراطا ، أي علامات وأمارات ، وعلى رأس تلك العلامات ظهور النبي الخاتم ، فقد قرأوا في كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء فبعثه من أشراط الساعة وأدلتها ، وقيل : أشراط الساعة أسبابها التي هي دون معظمها ، ومنه يقال للدون من الناس : الشرط ، وقيل : يعني علامات الساعة انشقاق القمر والدخان ، قاله الحسن ، وعن الكلبي : كثرة المال والتجارة وشهادة الزور ، وقطع الأرحام ، وقلة الكرام ، وكثرة اللئام . (انظر القرطبي حـ ١٦/٢٤٠ ، ٢٤١) .

وقيل : إن الزلزلة هي احدى أشراط الساعة ، وتكون في الدنيا ، قال تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم » .

وقيل : أنزلت هذه الآية والرسول في سفر فقال : أتدرون أي يوم ذلك ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذاك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار ، قال : يارب : وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة ، فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال صلى الله عليه وسلم : « قاربوا وسددوا فانه لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية ، قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية فان تمت والا كملت من المنافقين ، وما مثلكم ومثل الأمم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا . قال راوي الحديث : لا أدري أقال الثلثين أم لا ؟

أما حديث جبريل الذي سأل الرسول فيه عن الساعة فبين له الرسول بعض علاماتها ورواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو من الاشتهار بحيث نكتفي بالاشارة اليه فقط في هذا المقام .

حياة عقيدة

إن العقيدة ـ اي عقيد ـ كانت هي مجموعة القضايا اليقينة التي أمن بها الفرد . واقتنع بها قناعة رسخت مضمون هذا المعتقد . واحتوت الانسان واصبحت قواما له .

والعقيدة الاسلامية . هي الامور القطعية اليقينية التي ارتضاها المسلم وجزم بصحتها عن دليل . واطمأن الى مضمونها طمانينة قلبية . بحيث أصبح الشك والريب محجوزا بحاجز الصدق واليقين . من أن يتطرق اليها أو يغشاها أو يكدر صفاءها وهذا هو المعنى العام للعقيدة . أي هو ما عقد عليه الانسان في قلبه . وهي بهذا المعنى لابد أن تكون من العمق والتمكن من نفس صاحبها . بحيث تمتزج به امتزاجا كاملا . وتصبح قطعة منه ويصبح هو جزءا منها . تباشر شغاف قلبه .

وتسري في ضلوعه وجوانحه . والعقيدة لا تثبت في نفس حاملها . الا اذا كانت من الصلابة بدرجة لا تقبل الليونة والانصهار فالمسلم يحرص على عقيدته كحرصه على الحياة . بل يجعل العقيدة هي الحياة وهي الامل،هي عنوان حركته وتحركه .

المسلم

للشيخ / بدر الهلالي

ومحور سيره وسيرته . يلتزم بخطها التزاما قويا متخطيا بصلابتها ومضائها كل المعوقات والسدود .

فالعقيدة والمسلم وحدة لا تنفصم . وكتلة متحدة يستحيل فك ارتباطها – لأن العقيدة اذا سقطت انفرطت مسيرة المسلم . واذا فقدها المسلم فقد هداه وانكشفت للمؤثرات والعوارض . لأدنى لمسه . ويتارجح لأخف هبة ريح فيجب ان تكون عقيدة المسلم صلبة فولاذية لا تهن ولا تلين . ولا يعرف الضعف اليها طريقا . فيرى كل ثمن في مقابلها رخيصا . وكل منال دون منالها تافها وخسيسا فلا تؤثر فيه المغريات . ولا تجرفه المغيرات . وتكون الدنيا بكل مكاسبها المادية لا قيمة لها ولا مقدار . فلو أجريت له الأنهار ذهبا على أن يفرط بعقيدته أو يتهاون في صلابتها . فهو يرفضها ويمقتها . لأن العقيدة هي ثروته وملكيته التي يتعامل بها ومعها .

فالمسلم ليس شأنه شأن الآخرين . إن اعطوا من الدنيا رضوا وإن لم يعطوا

منها اذا هم يسخطون . لأن المسلم يرفض كل أشكال الترضية والإقناعات المادية وغيرها من مخالفيه في العقيدة . ولو غمروه بالمال وأغدقوا عليه من خزائنهم فضة وذهبا . فلا يحابيهم أو يدانيهم أو يتعامل معهم ويصير لهم عبدا وخادما ماداموا يخالفونه في العقيدة . ولنا في هذا المقام وقفة مع المصطفى ـ صلوات ربي وسلامه عليه في بدء دعوته . حينما جاءته العروض والعطاءات تطرح بين يديه . فقال له عتبة بن ربيعة (يا ابن أخي . إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا (أي جعلناك سيدا علينا) حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا) فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) (أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم : قال : فاسمع مني . **ثم قال (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون)** فصلت / ١ ـ ٤ ثم إن اشراف قريش جاءوا الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وعرضوا عليه الزعامة والمال . وعرضوا عليه الطب إن كان هذا الذي يأتيه من الجان فقال لهم عليه الصلاة والسلام (ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف منكم ولا الملك عليكم . ولكل الله بعثني رسولا وأنزل عليّ كتابا . وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا ـ فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم . فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وان تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) ثم قال لعمه : قولته المشهورة (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أنٍ أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) بهذه العزيمة المضاء . جاء رد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان جوابا صارما وموقفا حدا . وفيصلا فارقا لا تهاون فيه ولا بأس ولا استسلام كانت وقفته وقفة الواثق المتوثب . والمجاهد الطموح . كانت كل المغريات والمكاسب في نظره كعود ثقاب وحفنة من تراب . فكان في الصلابة غاية ونهاية . مصمما يحدوه اليقين واثقا متذرعا باقصى درجات العزم والحرص على تحقيق الهدف . جاء صلوات الله وسلامه عليه الى العالم برسالته متحديا موقنا بالحق الذي يدعو اليه صارخا في وجه الضلال . دون أن يأخذ في اعتباره أي شيء في الدنيا سوى العقيدة التي ينادي بها فقد بدأ قريشا بذكر آلهتهم وعابها . وتحداهم في معتقداتهم وسفهها . ولم يأبه بعادات العرب ومعتقداتهم لأنه إنما جاء لهدم تلك العادات والأضاليل . وهو في هذا الصراع المتأزم لم يكن ليتخذ من الغاية مبررا للطريقة التي يسلكها لانجاح دعوته . الا اذا كانت تلك الوسيلة من جنس الغاية التي يحملها . فقد حاولت قريش اقناعه بأن يعبد آلهتهم يوما ويعبدوا ربه يوما فرفض هذا الترقيع . ثم قرأ عليهم قول ربه عز وجل **(قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين)** الكافرون .

وهكذا يجب أن يكون المسلم في رفض لكل اشكال التبعية لغير عقيدته وأفكاره ولكن أعداء العقيدة يحاولون أن يغيروا المقاييس ويسيئوا التفسير قصدا فراحوا يصفون المسلمين المتمسكين بعقيدتهم الملتفين حولها . بأنهم متعصبون ومتحجرون . فصار من يحكم بما تمليه عليه العقيدة . متخلفا وانطوائيا وجامدا على القديم ثم حاول بعضهم انضاج مفهوم (الغاية تبرر الواسطة) في أذهان المسلمين وصولا الى اخراج المسلم من عقيدته . وفك تواصلها منه . ليسلم لهم ويقدم التنازلات من عقيدته . فهؤلاء المناكيد يستخدمون الدين أحيانا ليس حبا فيه واعتقادا به . وإنما لسحقه وتفتيته وتعطيل المفاهيم التي يقوم عليها يقول (ميكافيلي) صاحب هذا المفهوم في كتابه المسمى (الأمير) يقول (إن الدين ضروري لا لخدمة الفضيلة ولكن للتمكين من السيطرة على الناس واخضاعهم . وأنه من المفيد للأمير أن يظهر بمظهر الورع والايمان . وأنه من الواجب للأمير أحيانا أن يساند دينا ولو كان يعتقد بفساده) إن الكفار اعداءنا استغلوا الدين لغرض تقويضه وضربه . فلبسوا للمسلمين وشاح التدين والاصلاح . ولكنهم من تحت هذه العباءة ينفثون السموم . فعمقوا في نفوس العرب في عهد الدولة العثمانية النعرة القومية وصوروا لهم أن الأتراك اغتصبوا الخلافة منهم فعليهم أن ينتزعوها . فانساق العرب وراءهم . وانطلت عليهم أحابيلهم فأخذوا ينازعون المسلمين الأتراك على أن الخلافة يجب أن تكون للعرب فقاموا باعلان الثورة عليهم . حتى تمزقت أوصال الأمة . فنشط الاستعمار والخونة في القضاء نهائيا على دولة المسلمين ومعقل قوتهم . ففرح المجرمون الصليبيون من أمثال اليازجي الذي كان ينشد لهم آنذاك من حنجرته المتقرِّحة قائلا :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب	فقد طغى الخطب حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم	وأنتم بين راحات القنا سلب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم	تستغضبون فلا يبدو لكم غضب
أقداركم في عيون الترك نازلة	وحقكم بين أيدي الترك مغتصب

إن على المسلم في ظروف الأزمة العقائدية . أن يقوم بالتعريف والتوعية لعقيدته بجلاء حقيقتها وبيان أهدافها . لكي يؤكد قيمة عقيدته وجدارتها وصدقها . وألا تؤثر فيه الأضاليل والأقاويل . متمسكا بعقيدته مهما نعته الناعتون والدساسون . ثابتا على الحق المبين . ماضيا الى غاياته لا تهدمه مطارق الضاربين . حياته عقيدته . فكرته المهجع ، يركن اليه . يسير مع الإسلام حيثما سارت ركائبه . يؤثر ولا يتأثر . متواضعا للحق . متكبرا على الباطل والضلال والمنطق المعلول . مستنيرا بقول ربه جل جلاله (**قل الله أعبد مخلصا له ديني . فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين**) الزمر ١٤ ـ ١٥ .

إن مسلمي عصرنا . قد تساهلوا كثيرا في عقيدتهم حتى أصابها الضعف ففقدت شخصيتها وطابعها المميز . فلقد هان الاسلام على أتباعه الى درجة أنهم أصبحوا في شك من كل ما يتصف بالاسلام . ويحمل علامته . وبهذا تداخلت عقيدة المسلم في غيرها من العقائد حتى طغت تلك العقائد على عقيدته . فشوهت تصورات المسلم ونظرته الى الحياة . فمن المسلمين من هو مسلم في مشاعره . ولكنه غير مسلم في تفكيره . فهو يتألف من شخصيتين مزدوجتين . وليس له من المفاهيم الاسلامية ما يتناسب مع مستوى تفكيره كمسلم له طريقته الخاصة في التفكير وكانسان له طراز خاص من العيش ـ وقد أدى هذا الازدواج والتناقض وبفعل الأزمة الفكرية الى ظهور محاولات التوفيق والمطابقة والمقارنة بين الاسلام والمذاهب الأخرى . فكان الخلط وادخال الظواهر الغريبة على الاسلام . والتي ليست من مفاهيمه واحكامه وتقنيناته . لذلك يجب على المسلم أن يصحح طريقته في التفكير فيجعل العقيدة الاسلامية وما يصدر عنها من احكام هي اساس حياته ـ وعلى اساسها يفسر كل الظواهر التي تلوح له حتى يتسنى له أخذ الاسلام صافيا خالصا من كل ما يشوبه ويعكر نقاءه . لأن هذه الظاهرة . إما أن تكون من الاسلام أو لا تكون . ودليل كونها من الاسلام انبثاقها عن العقيدة الاسلامية . ومن هنا توضع الفواصل الجذرية بين ما هو اسلامي وغير اسلامي .

لذلك يتحتم على المسلمين أن يحددوا موقعهم من الاسلام بدقة ووضوح فهم أما أن يكونوا في صف الاسلام . واما ان يقفوا في صف الكفار . قضية فاصلة محدده . لا مهادنة فيها ولا تعايش ولا افتراض . لأنها قضية كفر وايمان . وعلى هذا يصبح لزاما على المسلم أن يجعل العقيدة الاسلامية مسيرته . ومن موقعها ينطلق في فهم الأمور وتفسير الظواهر . جاعلا احاسيسه وتفكيره مرتبطا بعقيدته ونابعا عنها . فلا يحمل الولاء والتابعية الا لعقيدته التي آمن بها طريقا في الحياة . **(يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)** الممتحنة / ١٣ .

إن عقيدتنا تقوم على أساس التوحيد وإفراد الخالق بالعبادة . لأنه هو وحده الذي يستحق التقديس والتعظيم . والتوحيد تجمعه كلمة ذات محتوى عقائدي وهي (لا إله الا الله محمد رسول الله) فهذه الكلمة هي القاعدة الاساسية التي تنبثق عنها الفكرة الكلية عن هذا الوجود فلا إله الا الله هي الأساس . ومحمد رسول الله هو الداعي لها . ومن هنا ينطلق المسلم في فهمه وفي تصوره وفي سيره في هذه الحياة . لكي تتضح أمامه الصورة بشكلها وأبعادها ومضمونها ونريد أن نسلط الضوء على العقيدة الاسلامية من حيث تصورها للحياة الدنيا .

فما غاية هذه الحياة في نظر عقيدتنا ؟

وهذا السؤال عن تصور الحياة على درجة من الأهمية . له تأثير بالغ في كل أعمال الانسان . وبتغير هذا التصور تتغير نوعية هذه العقيدة .

والسؤال الثاني الذي له علاقة وثيقة بتصور الحياة .
ماغاية الانسان في هذه الدنيا ولأي غرض يا ترى كل هذا النضال والصراع وهذا الجهد والكدح والتعب ؟ وما هو الشيء المنشود الذي على الانسان أن يطمح اليه ببصره ؟ وما هي النهاية التي على الانسان ألا يغفل عنها طرفة عين في كل عمل من أعماله ؟ بل في كل لحظة من لحظات حياته .

وهذا السؤال عن غاية الحياة . هو الذي يعين وجهة حياة الانسان العملية وسيرها . وعلى ضوئه يسلك الانسان ما يسلك في حياته من طرق للعمل . ووسائل للتوفيق والنجاح . أما عن تصورنا للحياة الدنيا . فان الاسلام يعتبرها بأنها مرحلة زمنية موقوتة بأجل . هو يوم القيامة يوم يحشر الناس لرب العالمين . ليجزي كل عامل بما عمل . وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (**والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون**) الأعراف / ٨ ، ٩ فالذي جاء الاسلام بايضاحه للخلق . أن هذه الحياة ليست مستقرا ثابتا للانسان . وأن وراء هذه الحياة حياة أخرى . وأن الدنيا دار العمل والجهد والسعي . وأن الآخرة هي دار القرار والجزاء . فالانسان قد أمهل في هذه الدنيا ليعمل الى ساعة موته . وأنه لن ينال بعدها مهلة للعمل .

فيجب على الانسان ان يكون على شعور تام بالتبعة والمسئولية . وأنه مكلف باحكام ومرتبط بقوانين . يجب أن ينضبط بها سلوكه . ومما يزيد هذا الشعور بالتبعة أوضح الاسلام . أن كل فرد من أفراد البشرية عليه تبعة كل عمل من أعماله بصفته الشخصية . فليس لأحد أن ينقذه من عواقب أعماله (**وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**) مريم / ٩٥ وأوضح الاسلام كذلك أن الحياة الدنيا ليست متاعا يجب نبذه وقذفه والاعراض عنه وأنه ليس للانسان ان يترك الدنيا ظنا منه بأنها شيء يجب الاحتراز منه . وليس له أن يحرم على نفسه زينتها ونعيمها . فالدنيا بطبيعتها إنما هي للانتفاع والاستخدام . والانسان من حقه أن ينتفع بها ويستخدمها ولكن مع رعاية الامتياز بين الصحيح والفاسد . والمناسب وغير المناسب ومع رعاية التوجيه والبيان من الله عز وجل خالق الحياة . فاذا كانت الدنيا منفعة ومتعة . وللانسان أن ينتفع بها . فعليه أن يأخذ منها على الوجه الذي أوصت به الشريعة الغراء (**يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**) البقرة / ١٦٨ (**يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) المائدة / ٨٧ كما اوضح الاسلام حقيقة أخرى بالنسبة للحياة الدنيا وهي أن الحياة ما خلقت ملهاة للانسان لتشغله بمفاتنها ومباهجها عن الغاية الحقيقيةالتي وراء الحياة الدنيا . وليعلم الانسان أن هذه الدنيا . وهذه الاموال والملذات . كلها ظل زائل . فالاستمتاع بالحياة إذن . يجب أن يكون بالقدر الذي لا يتعارض والغاية الأساسية الكامنة وراء الحياة الدنيا . أي أن يكون تصرف

الانسان وانتفاعه من الحياة على ضوء التوجيه التشريعي من الله عز وجل . وبهذا يتضح الجواب الذي يطرحه الاسلام . لبيان غاية الحياة . ويعطي وجه العلاقة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة . فينظر للحياة على أنها وحده مركبة من المادة والروح . وهما ممتزجتان امتزاجا كليا لا يقبل الانفصال . بسبب أن طبيعتها قابلة للاتصال بل محتمة له . ولهذا كانت نظرة عقيدتنا أنه يوجد قبل الحياة ما يجب الايمان به وهو الله عز وجل . ويوجد بعد الحياة ما يجب الايمان به وهو يوم القيامة وكان حتما أن تتصل هذه الحياة بما قبلها وبما بعدها اتصالا وثيقا وبهذا يتبين أن أعمال الانسان مضبوطة بما قبل الحياة . وهي أوامر الله ونواهيه ومربوطة نتائجها بما بعد الحياة . وهو يوم القيامة . فكأن رضوان الله هو المثل الأعلى . وهو غاية الأعمال التي يجب أن تسيِّر الانسان وهذا التصور الاسلامي للحياة وغايتها . على النقيض من التصور الرأسمالي للحياة . فان الرأسمالية ترى أن الحياة مكونة من مادة وروح . إلا أن طبيعة الروح التي هي الصلة بين الانسان وربه منفصلة عن المادة . ولذلك يجب أن تفصل المادة عن الروح أنفصالا تاما . ولهذا كانت المادة عند الرأسماليين هي التي تسير الحياة فقط . وأن الروح يكفيها أن تتمثل في الفرد . يؤدي عبادته لخالقه بصورة فردية . ولهذا كان وجودها فرديا أو نظريا فهم يعتبرون أن الحياة لا صلة لها بما قبلها ولا بما بعدها . فكانت حياتهم حياة مادية بحته . وهي موجهة بالمادة وقياساتها النفعية . وكذلك النظرة الشيوعية للحياة تناقض التصور الاسلامي للحياة وغايتها . فهي ترى أن الحياة مادة فقط . ولا يوجد وراء هذا الكون شيء مطلقا . ولذلك ينكرون الروح . وعلى هذا فهم ينكرون ما قبل الحياة وما بعدها . ويعتبرون موت الانسان فناء له . ومادام سيموت ويفنى فعليه أن يأخذ اكبر قسط مادي يقدر عليه من الحياة . لذلك كان قياس الحياة عندهم بالنفعية فقط . وإزاء هاتين النظرتين الخاطئتين لكل من الرأسمالية والشيوعية واللتين تناقضان الفطرة والأصل . وهو مزج الروح بالمادة إزاء هذه فان الاسلام يطرح الجواب الشافي . حينما يربط الحياة الدنيا بما قبلها وبما بعدها . ومن هذا التصور السليم المتفق مع الفطرة . نشأت عند المسلم عقيدة الآخرة . وبموجبها تتحدد مواقف الانسان من الحياة والأفعال ماذا يأخذ وماذا يدع ؟ مسيرا أعماله بالأحكام الشرعية التي شرعها الله خالق الحياة والانسان .

أما بالنسبة للسؤال الأخير الذي يتعلق بمنزلة الانسان في هذا الكون . أي ما الموقع الذي يحتله الانسان في هذه الحياة ؟ وما هي نظرة عقيدتنا للانسان وما هو مركزه الذي تعينه العقيدة الاسلامية فيه . لقد كان الانسان ومايزال مأخوذا بسوء الفهم عن نفسه . يميل الى جانب الافراط حينا . فيرى أنه أكبر وأعظم قوة في العالم . يمتلىء انانية وغطرسة وكبرياء . ولا يرضى بأن يرى أية قوة أخرى في العالم ندا لنفسه . فضلا عن أن يراها فوقه . وهنا ينادي (**أنا ربكم الأعلى**) النازعات / ٢٤ وينادي (**من أشد منا قوة**) فصلت / ١٥ .

ويربأ بنفسه أن يعتقد أنه مسئول أمام أحد . وأن عليه نوعا من التبعة .

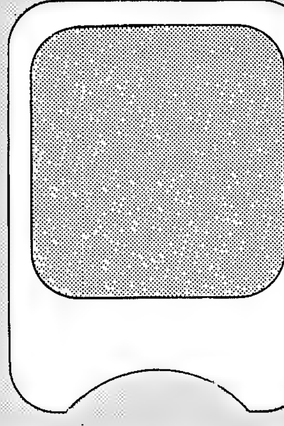
ويتحول الى آلة للقهر والجبروت والبطش والظلم . ويميل الى جانب التفريط حينا آخر ، فيظن أنه أدنى وأرذل كائن في العالم فيطاطىء رأسه أمام حجر وشجر . ولا يرى لنفسه السلامة إلا في أن يسجد للشمس والقمر . وما اليهما من الموجودات التي يرى فيها شيئا من القوة أو القدرة على ضرره أو نفعه . بل طالما يتخذ آلهة أناسا من أمثاله عندما يرى فيهم نوعا من القوة والجبروت والغلبة . ولا يتحرج عن عبادتهم وعبوديته لهم ، أما الاسلام . فهو يبطل هذين التصورين المتطرفين . ويعرض الانسان على حقيقته. ويضعه في الموضع المناسب له كانسان له ادراك واحساس أما بالنسبة للنظرة الاولى فينقضها الاسلام بقوة . (**فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماءٍ دافق . يخرج من بين الصلب والترائب**) الطارق / ٥ ـ ٧ فهذا القول يحقّر النظرة التي ترى أن الانسان هو القوة التي لا تقهر . والسلطان الذي لا يغلب . فيذكر الانسان بأصله لكيلا يشمخ بأنفه . ويدفع بصدره ويرى لنفسه العزة والجبروت المطلق . هذا من جانب . ومن جانب آخر . فان الاسلام بيّن للانسان أنه ليس من الذلة والمهانة والابتذال كما يزعم نفسه . وفي ذلك يقول ربنا عز وجل (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء ـ ٧٠ فالانسان ليس من علوِّ المكانة وارتفاع المنزلة حيث يحسب نفسه عندما يميل الى جانب الافراط . ولا هو من الدناءة والرذالة حيث يضع نفسه عندما يميل الى جانب التفريط .

فالاسلام ينظر للانسان على أنه مخلوق سوي مكرم في غير استعلاء مطلق . ولا مهانة مُذِلة . فهو خليفة جعله الله عز وجل في أرضه ليقوم بالحق والميزان . وقد أعطى الله للانسان من القوة الجسمانية والعقلية ما يؤهله للقيام بهذه الوظيفة العليا (**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم**) الانعام ـ ١٦٥ فالانسان خليفة في الأرض وما هو بمالك حقيقي وان كل شيء يستخدمه الانسان ويتصرف فيه وينتفع به في هذه الدنيا ليس ملكا له . وانما الملك لله وحده وهو صاحب السيادة المطلقة . والآمر النافذ فليس من حق الانسان أن يتصرف فيه كأنه هو مالكه . ولا أن يستخدمه فيما يشاء وتشاء أهواؤه . بل إن دائرة صلاحياته محدودة بأن يتبع هدى الله . ولا يتصرف في شيء في هذه الدنيا الا حسب أوامر الله وأحكامه وتشريعاته . وإنه لمن الضلال والبغي والعدوان والتجاوز أن يتبع هواه . أو يتخذ من نفسه إلاها . أو يتخذ أحدا غير الله مالكا وحاكما لنفسه يتعدى حدود دائرة صلاحياته .

وإنما الأمر كله لله (**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**) آل عمران / ٢٦ .

ومن هذه النظرة الموزونة الرائعة تتحقق السعادة للانسان . ويعيش في خير وكرامة على أرض الله .

الشريعة الإسلامية



« الشريعة الاسلامية واجبة التد

« تقنين احكام الشريعة واجب منعا لاختلاف الاحكام في المس

« الدعوة الى تقنين الشريعة بدأت منذ القرن الثالث الهجري عندما اتسعت البلاد الاسلامية واختلفت الاحكام في القضية الواحدة »

نص الدستور المصري (لعام ١٩٧١م)- بالمادة ٢ - على ان « مبادىء الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسي للتشريع » ويرى بعض شراح القانون الوضعي ان احكام الشريعة الاسلامية اصبحت واجبة التطبيق في ظل الدستور الجديد وان اي قاض يستطيع الآن ان يرفض الحكم بأي قانون يخالف الشريعة لأنه في ظل القانون القائم يعتبر غير دستوري .

ويرى البعض الاخران نص الدستور المشار اليه لم يسبغ على احكام الشريعة قوة الزامية ذاتية ولذلك فان احكامها ما زالت بعد النص المشار كما كانت قبله مجرد قواعد دينية ولا تكتسب هذه الاحكام قوة الالزام التي تحظى بها قواعد القانون الا اذا تدخل المشرع فقننها وفي هذه الحالة تصبح تلك الاحكام ملزمة بتقريرها تشريعيا لا بذاتها ، اي بسلطان الدولة لا بسلطان الدين والدليل على ذلك ان الخطاب في النص الدستوري المشار اليه موجه الى المشرع لا الى الكافة ولا الى القضاء (راجع للدكتور عوض محمد دراسات في الفقه الجنائي الاسلامي)

والمواد الجنائية

للاستاذ/صالح محمد عبد الله

بحكم نفسها لا بحكم الدستور

المتشابهة ومنعا للحكم استنادا الى الآراء المنحرفة »

« احكام الشريعة الاسلامية ملزمة بحكم نفسها لا بحكم الدستور »

وان كان الرأي الثاني يبدو صحيحا من وجهة نظر القانون الا انه من وجهة نظر الشريعة هو قول باطل بطلانا مطلقا فالحق ان احكام الشريعة الاسلامية الغراء واجبة التطبيق بحكم نفسها لا بحكم الدستور . وملزمة للمسلمين منذ ان نزل بها الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يرث الله الارض ومن عليها ، فالشريعة الاسلامية هي الدستور الاساسي للمسلمين وكل ما يوافق هذا الدستور فهو صحيح وكل ما يخالفه فهو باطل فقد عرف الاصوليون الحكم الشرعي بأنه « **خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء او تخييرًا او وضعا** » ومع هذا التعريف يظهر ان اركان الحكم الشرعي ثلاثة :ـ الحاكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه .

وقد اجمع الاصوليون على ان الحاكم بمعنى منشىء الحكم ومشرعه هو الله تعالى بدليل قوله عز وجل « **إن الحكم الا لله** » وقوله تعالى « **ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم** » ٣٦ من سورة الاحزاب واما الرسول عليه الصلاة والسلام فمبلغ عن الله حكمه . قال تعالى « **يا**

أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ٦٧ المائدة .

« القوانين الوضعية هي التي تستمد قوة الالزام من الشريعة الاسلامية »

فاحكام الشريعة هي احكام سماوية من عند الله سبحانه وتعالى فلا تستمد قوة الالزام من قوانين البشر فالحق ان القوانين الوضعية هي التي تستمد قوتها من الشريعة الاسلامية فولي الامر يستمد حق الطاعة من نصوص الشريعة قال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)** النساء ٥٩ ويتبين من نص الاية الكريمة ان الله سبحانه وتعالى قد كرر لفظ الطاعة بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يعني ان طاعة الرسول تجب له استقلالا اي ان اوامره ونواهيه لها قوة الالزام وان لم يرد بشأنها نص في القرآن الكريم لأنه صلى الله عليه وسلم اوتي الكتاب ومثله معه - **(وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى)** ٣و٤ النجم . وحذف فعل الطاعة عند ذكر اولي الامر دليل على ان طاعة اولي الامر لا تجب لهم استقلالا كطاعة الرسول وانما تجب في حدود اوامر الشرع ونواهيه فان كانت اوامرهم « القوانين الوضعية » تتفق مع احكام الشريعة وجبت لها الطاعة وكانت لها قوة ملزمة للمسلمين اما ان كانت تشريعاتهم مخالفة لنص من الكتاب او السنة او لاجماع المسلمين كانت باطلة بطلانا مطلقا غير ملزمة للمسلمين . ويتبين من ذلك ان الشريعة الاسلامية هي التي تمنح التشريعات الوضعية « اوامر اولي الامر » قوة الالزام ولا تستمد هي قوة الالزام منها .

« الأدلة على بطلان القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الاسلامية »

وبطلان القوانين الوضعية المخالفة لاحكام الشريعة الاسلامية لا يرجع الى مخالفتها لنص الدستور وانما يرجع الى مخالفتها لنصوص الشريعة نفسها :-
١ - فنصوص القرآن الكريم قد وردت قاطعة في تحريم كل ما يخالف الشريعة واعتبرت العامل بغير الشريعة متبعا هواه منقادا الى الضلال كافرا بما انزل الله « راجع للاستاذ عبد القادر عودة التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي » قال تعالى **(فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)** القصص ٥٠ وقال جل شأنه (يا

داوود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) من سورة ص ٢٦ وقال جل شأنه موجها الخطاب الى محمد صلى الله عليه وسلم (**ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**) الجاثية ١٨ .

٢ ـ ان الله سبحانه وتعالى قد امر ان يكون الحكم طبقا لما انزل (**وان احكم بينهم بما انزل الله**) المائدة ٤٩ وجعل من لم يحكم بما انزل الله كافرا وظالما وفاسقا (**ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون**)المائدة ٤٤ ، (**ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون**) المائدة ٤٥ ،) **ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون**) المائدة ٤٧ .

« تقنين الشريعة واجب وذلك لمنع اختلاف الأحكام وليس لمنحها صفة الالزام »

وتقنين احكام الشريعة قد اصبح واجبا محتما في هذا العصر والتقنين ليس القصد منه اضفاء صفة الالزام على احكام الشريعة فهي ملزمة بحكم نفسها كما بينا وانما هو مطلوب حتى لا تتناقض الاحكام في المسألة الواحدة وحتى لا يقضي صاحب هوى برأي فقهي منحرف من الاراء المدسوسة على الفقه الاسلامي .

اما عن اختلاف الاحكام في القضية الواحدة فانه من المعروف ان فقهاء الشريعة قد اختلفوا في الاحكام التي وردت بشأنها نصوص ظنية الثبوت او الدلالة . الامر الذي يتحتم معه اصدار تشريع قائم على اختيار الاراء التي تحقق العدل ومصلحة الامة فيكون التشريع ملزما للقاضي فلا يحكم بغيره وذلك حتى لا تختلف الاحكام في المسألة الواحدة او في القضايا المتشابهة فنضرب مثلا لاختلاف الفقهاء في قضية من قضايا الحدود وهي مسألة اشتراط النصاب في المال المسروق الذي يوجب القطع فقد اختلفوا حول هذا الشرط من وجهين :ـ

١ ـ **الوجه الاول** : انهم اختلفوا في شرط النصاب نفسه بمعنى هل يشترط لاقامة حد السرقة ان يبلغ المال المسروق نصابا محددا ام ان القطع واجب ايا كانت قيمة المال المسروق . فجمهور الفقهاء يشترطون النصاب لوجوب القطع ودليلهم على ذلك احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى عنه انه قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم رواه مسلم واحمد وروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع في ربع دينار ـ رواه النسائي « عبد القادر عودة التشريع الجنائي الاسلامي ».

اما الرأي الثاني فهو ما روى عن الحسن البصري وداود وما عرف عن الخوارج من وجوب القطع في سرقة القليل والكثير وحجتهم اطلاق قوله تعالى (**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله**) ٣٨ المائدة كما استدلوا بحديث ابي هريرة « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع

يده ويسرق الحبل فتقطع يده » متفق عليه « المرجع السابق » ولكن الجمهور يرون ان اطلاق الآية مقيد باحاديث الرسول التي سبق ذكرها وان حديث ابي هريرة اريد به تحقير شأن السارق والتنفير من السرقة .

٢ ـ **الوجه الثاني** : ان الجمهور بعد ان اشترطوا النصاب في القطع اختلفوا في تحديد مقدار النصاب فيرى مالك ان القطع يجب في ثلاثة دراهم من الفضة وربع دينار من الذهب ويرى ابو حنيفة ان النصاب الذي يوجب القطع هو عشرة دراهم تساوي دينارا فلا قطع عنده في اقل من ذلك « التشريع الجنائي وبداية المجتهد لابن رشد ».

ففي ظل هذا الاختلاف اذا عرضت واقعة سرقة على القاضي وكان المال لا يبلغ ربع دينار فقد يقضي بالقطع استنادا الى رأي الخوارج ومن تبعهم بينما لو عرضت واقعة مشابهة على قاض آخر ربما قضى بعقوبة تعزيرية عملا برأى الجمهور . واذا عرضت قضية وكان المال المسروق يزيد على ربع دينار ولكنه لا يبلغ دينارا كاملا فقد يقضي بالقطع عملا برأي المالكية بينما لو عرضت قضية مماثلة على قاض اخر فقد يقضي بعقوبة تعزيرية ولا يحكم بالقطع اخذاً برأي الاحناف وفي ذلك خروج على مبدأ المساواة في تطبيق احكام الشريعة وكذلك قد يحكم القاضي بالقطع فيستأنف المتهم الحكم فتلغيه المحكمة الاستئنافية وتقضي بعقوبة تعزيرية كالحبس بدلا من القطع عملا برأي فقهي يخالف الرأي الذي اخذت به محكمة الدرجة الاولى ومن هنا تتناقض الاحكام في القضايا المتشابهة كما تختلف في القضية الواحدة ومن هنا كانت الحاجة الى تقنين احكام الشريعة في صورة مواد قانونية ملزمة ومختارة من اراء الفقهاء ولم تكن هناك حاجة الى التقنين في العصور الاولى للاسلام لأن الوالي على كل بلد كان هو قاضيها ولا يقوم بالقضاء غيره « فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استعمل رجلا نائبا على مدينة كان نائبه هو الذي يصلي بهم ويقيم فيهم الحدود (اي يقوم بالقضاء) وغيرها مما يفعله امير الحرب فقد استعمل عتاب بن اسيد على مكة وعثمان بن ابي العاص على الطائف وعليا ومعاذا وابا موسى على اليمن وعمرو بن حزم علي نجران » « السياسة الشرعية لابن تيمية ».

« الدعوة الى التقنين قد بدأت منذ القرن الثالث الهجري »

اما بعد ان اتسعت البلاد الاسلامية واصبح الوالي لا يقوم بأعباء القضاء وانما يقوم بها نواب عنه هم القضاة ، الامر الذي تحتم معه تقنين احكام الشريعة حتى لا تختلف الاحكام كما بينا وحتى لا يقضي قاضٍ برأي منحرف ومدسوس على الشريعة . لذلك فان الدعوة الى التقنين قد بدأت منذ القرن الثالث الهجري في العصر العباسي فقد كتب ابن المقفع الى الخليفة ابي جعفر المنصور رسالة دعاه فيها الى وضع قانون عام لجميع الامصار يؤخذ من الكتاب والسنة وعند عدم

النص يؤخذ من الرأي ما يقتضيه العدل ومصلحة الامة . وذلك لما لاحظه من تباين في الاراء واختلاف في الحكم في المسألة الواحدة وفي هذه الرسالة يقول « مما ينظر فيه امير المؤمنين من امر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحي . اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها امرا عظيما . فلو رأى امير المؤمنين ان يأمر بهذه الاقضية المختلفة فترفع اليه في كتاب ، ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة او قياس ، ثم نظر امير المؤمنين في ذلك وامضى في كل اقضية رأيه ونهى عن القضاء بخلافه ، فكتب بذلك كتابا جامعا رجونا ان يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكما واحدا صوابا .. راجع تاريخ القضاء في الاسلام لعرنوس « غير ان هذه الدعوة لم تجد قبولا في ذلك الوقت لرفض الفقهاء ان يتحملوا تبعة اجبار الناس على تقليدهم كما انهم تورعوا وخافوا ان يكون في اجتهادهم خطأ . وبقى الامر على ما هو عليه الى ان ظهرت الفكرة الى حيز الوجود عندما قامت الحكومة العثمانية في اواخر القرن الهجري الماضي ـ وكانت تمثل الخلافة في الاسلام باخراج قانون للمعاملات المدنية يقتبس من الفقه الاسلامي عرف بقانون مجلة الاحكام العدلية » وبلغت مواده ١٨٥١ مادة .

« دعوى صعوبة التقنين باطلة بطلانا مطلقا »

ويدعي البعض ان تقنين احكام الشريعة فيه مشقة كبيرة ويحتاج الى وقت وجهد كبيرين لأن المطلوب في نظرهم هو ان تصاغ من الفقه الاسلامي مواد للقانون المدني والتجاري والدستوري والبحري والجنائي الى اخر ما هنالك من فروع القانون ومواد هذه القوانين تعد بالالاف وكما ان ذلك سوف يؤدي الى نقض البناء القانوني المستتب في الدولة .

والحق ان هذه الدعوى باطلة ولا يقول بها الا من يجهل احكام الشريعة او من عميت قلوبهم عما فيها من حق وخير وعدل وصلاح للامة التي ساءت احوالها بعد ان تخلت عن شريعة ربها جريا وراء التشريعات الغربية الفاسدة المفسدة فلو علم اصحاب هذه الدعوة ان تقنين الشريعة في المجال الجنائي مثلا لن يترتب عليه سوى الغاء مادتين او ثلاثة من قانون العقوبات المصري الذي تبلغ مواده ٣٩٥ مادة واضافة ١٤٤ مادة تقريبا اليه هي مواد جرائم الحدود والقصاص والديات وقل مثل ذلك بالنسبة لباقي فروع القانون الاخرى .

وبعد فانه لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها وقد كانت احكام الشريعة سببا في توحيد هذه الامة من اجناس مختلفة وبسط سلطانها على جزء كبير من العالم وكانت خير امة اخرجت للناس .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم عن ابي هريرة . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حول الاستقلال

للاستاذ
محمد هاني اسماعيل محمود

دار الجدل منذ زمن ، وما يزال ، حول نص في قانون الأحوال الشخصية - بمصر - يقول « أن « للمُطلقة الحاضنة الاستقلال مع صغيرها بمسكن الزوجية المؤجر ما لم يهيء المطلّق مسكنا آخر مناسبا .... » .

وقد عللت المذكرة الايضاحية وضع هذا النص وأفصحت عن حكمته وأساسه فقالت انه جاء استنادا الى قول الفقهاء .. « أن من لها إمساك الولد وليس لها مسكن فإن على الأب سكناهما جميعا » . وما ذهبت اليه المذكرة الايضاحية في هذا لا يصلح سندا لتبرير اصدار هذا النص القانوني الجديد الذي جاء مخالفا لمبادىء الشريعة الاسلامية ونصوص الدستور .

أقوال الفقهاء لا تبرر

فالقول الفقهي الذي استندت اليه المذكرة الايضاحية سالفة الذكر قد ورد في كتب الفقه في معرض حديث الفقهاء عن حضانة الصغار ومدى

المطلقة والصغير بالمسكن

التزام الأب بأجر الحضانة ، وافترضوا أن الحاضنة قد تكون مقيمة مع غيرها فتحتاج الى مسكن آخر لتحضن فيه الصغير .. فمن يلتزم بأجر هذا المسكن .. هي .. أم الاب .. ؟ . أجاب الفقهاء عن ذلك بأن الأب هو الذي يلتزم بأجر هذا المسكن الذي اتخذته الحاضنة لحضانة الصغير فيه ، باعتبار أن التزامه بذلك هو جزء من التزامه بالنفقه على اولاده ومتفرع عنه .

وقد اشترط الفقيه الذي قال بهذا وهو « ابو حفص » بالا يكون للحاضنه مسكن اصلا ، اما اذا كان لها مسكن سواء ملك أو إيجار أو عارية فلا يلتزم الأب في هذه الحالة بأجر ذلك المسكن « يراجع في تفصيل ذلك حاشية ابن عابدين ـ الجزء الثاني ـ باب الحضانة ـ مطلب في لزوم أجرة الحضانه ص ٦٩٢ » .

القانون تجاوز

هذه هي حدود القول الفقهي الذي استندت إليه المذكرة

الإيضاحية ، لكن القانون الجديد تجاوز هذه الحدود و أسرف فلم يكتف بإلزام الأب بأجر مسكن الحضانة فقط حسبما قال الفقهاء وإنما زاد عليه إلزامه بتوفير هذا المسكن وتهيئته عينا .

كذلك لم يشترط القانون ما اشترط الفقهاء من أن الأب لا يلتزم بأجر مسكن الحضانة إلا إذا كانت الحاضنة ليس لها مسكن .. وجاء بصيغة مطلقة ولم يفرّق بين حالة و أخرى و ألزم الأب بتهيئة مسكن الحضانة في جميع الأحوال حتى ولو ثبت أن الحاضنة لها مسكن تستطيع حضانة الصغير فيه .

النص الجديد فيه تكليف فوق الطاقه

إن قول الفقهاء « ان من لها ! إمساك الولد وليس لها مسكن فإن على الأب سكناهما جميعا » هذا القول جاء مبنيا على التزام الأب الشرعي بالنفقه على أولاده ومتفرعا عن ذلك الالتزام والأصل في وجوب هذا الالتزام قول الله سبحانه وتعالى :
« وعلى المولودِ له رزقُهُنَّ وكِسوتُهُنَّ بالمعروفِ لا تُكَلَّفُ نفسٌ إلا وسعَها »
(سورة البقره : ٢٣٣) .
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهند زوجة أبي سفيان : « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف » .
والقاعدة الشرعية الأُصولية في نفقة الفروع أنها تقدر بقدر كفاية الولد اذا كان الأب معسرا و إلا فإنها تقدر بحسب يسار الأب وعلى قدر طاقته وما وجد السبيل إليه كما قال تعالى « لا تُكلَّفُ نفسٌ إلا وسعَها »
(البقره : ٢٣٣) .
وقوله تعالى « ليُنفقْ ذو سَعَةٍ من سعته وَمَن قُدِرَ عليه رزقُهُ فلينْفِقْ مما أتاه الله لا يكلفُ الله نفساً إلا ما أتاها » (الطلاق : ٧) .

فاذا جاء النص القانوني الجديد وألزم الأب بنفقة مسكن أولاده وحاضنتهم وجعلها في صورة تكليفه وإلزامه بتوفير مسكن خاص مستقل ومناسب لهن في زمان اشتدت فيه أزمة المساكن و أصبح من قبيل العلم الشائع أن الحصول على مسكن هو أمر بالغ الصعوبه وفيه مشقة كبيرة على أكثر الناس بل وعلى القادرين منهم ماديا ، فانه بذلك يكون قد كلف الأب بما لا يستطاع ربما لا طاقة له به .. بل هو تكليف بالمستحيل أقرب بالنظر الى عرف الناس في هذا العصر ويكون قد خالف الآيات

الكريمه التي أمرت بفرض النفقة بقدر الطاقة والمستطاع .

وفيه اضرار للوالد بولده

اذا عجز الأب عن توفير مسكن مناسب لمطلقته الحاضنة فان القانون الجديد فرض عليه في هذه الحاله التزاما بديلا وهو أن يترك مسكنه الذي استأجره وكان يقيم به ويسكنه أثناء العلاقة الزوجية ويخرج منه لتستقل مطلقته وأولاده بالاقامة فيه دونه ، ولا مراءَ أنه في هذه الحاله سيلحق الأب ضرر فادح مادي وأدبي نتيجة إخراجه من مسكنه وطرده من مأواه .. وفي ظل أزمة المساكن الشديده في هذا العصر فإن الضرر سيكون أعظم وأشد وقد لحق هذا الضرر بالأب بسبب الولد ، إذ لولا وجود الولد ما أُجْبِرَ الأب على ترك مسكنه وما أُخْرِجَ منه ليستقل به ولده وحاضنته من دونه .

وبذلك يكون القانون الجديد قد جعل الأبن سببا مباشرا في إلحاق الضرر بأبيه وخالف ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه بقوله :

« لا تضار والدة بولدها ، ولا مولود له بولده » (البقره : ٢٣٣) .

وقد قال المفسرون في هذه الآيه أنه لا ينبغي أن يكون الولد سببا في الحاق الضرر والأذى بأبيه بأن يكلف فوق طاقته . كما لا يجوز لأي من أبوي المولود مضارة الآخر بسبب الولد وحرام عليها ذلك باجماع المسلمين .

« يراجع في التفسير : تفسير الطبري ، تفسير الجلالين ، تفسير المنتخب الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلاميه »

ولا يقال أنه في الحالة العكسية اذا أُخْرِجَت المطلّقة من مسكن الزوجية بعد الطلاق سيكون هذا اضرارا لها بولدها ، لا يجوز هذا القول لأن إخراج الزوجة من مسكن زوجها بعد الطلاق لم يكن الأبن سببا فيه وإنما سبب إخراجها من المسكن هو انفصام عرى الزوجية ووقوع الفِرقه بينها وبين زوجها صاحب الحق في سكن الدار وهو ليس ملزما شرعا باسكانها إلا في حالة قيام الزوجية بينهما وأثناء فترة العدة كما قال الله سبحانه وتعالى :

« لا تخرجوهنَّ من بيوتهنَّ ولا يخرجْنَ إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ مبينة » (الطلاق : ١) .

ثم يقول سبحانه « اسكنوهنَّ من حيث سكنتم من وجْدِكُم ولا تضاروهنَّ لتضيقوا عليهنَّ » (الطلاق : ٦) .

أما بعد الطلاق وانتهاء فترة العدة فلا إلزام عليه شرعا باسكانها ، ولا نجد في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ثمة نص

يفرض عليه هذا الالتزام .

مخالفة نص الدستور

ينص الدستور في مادته التاسعة على أن « الأسرة أساس المجتمع . قوامها الدّين والاخلاق والوطنية . وتحرص الدولة على الحفاظ على الطابع الأصيل للأسرة المصرية وما يتمثل فيه من قيم وتقاليد .. » . والنص القانوني الجديد خالف ذلك إذ لم يراع قواعد الدين التي تكفلت بتنظيم المسائل التي سلف بيانها في النفقة وعدم اضرار الوالد بولده وهي لاشك قواعد تتعلق بكيان الأسرة وقوامها الديني .

التطبيق العملي للنص الجديد

كما لوحظ من التطبيق العملي لهذا القانون أنه لم يجلب نفعا وإنما جرَّ ضررا كبيرا على أخلاق الأسرة المصرية وعلى قيمها وتقاليدها الأصيلة التي حرص الدستور على كفالة التزام الدولة بالحفاظ عليها في مادته التاسعة .

فقد أدى ببعض الزوجات المسيئات الى التمادي في الاساءة لأزواجهن والتمرد عليهم اعتمادا منهنَّ على أن الزوج تحت وطأة هذا القانون لن يقدم على إيقاع الطلاق مهما بلغت إساءة زوجته له ، لأنه إذا فعل فسوف يفقد المسكن والمأوى ويطرد من بيته وهو صاحبه وتفوز هي بالانفراد بالمسكن كمنحة قانونية جزاء لعصيانها وتمردها .

كما أدى ببعضهنَّ الى الإعتقاد خطأ بأنهنَّ أصبحنَ بمقتضى هذا النص الجديد صاحبات الحق الأصيل في مسكن الزوجية وأن اقامة الزوج به هي اقامة تابعة لهُنَّ، ولوَّحْنَ لازواجِهنَّ لدى أي خلاف بهذا الإعتقاد الخاطىء ، فجرحنَ بذلك كرامتهم وثار بينهم التنازع على المسكن حتى أثناء قيام العلاقة الزوجية ففسدت بينهم العواطف وتولدت الشحناء والبغضاء فزالت المودة والرحمة وانهارت الأسرة وتشرد الصغير الذي أراد القانون حماية جانبه .

لذلك كله فإنه يجدر بالمشرّع أن يعيد النظر في أمر هذا التشريع في ضوء ما أحدثه تطبيقه من خلل في نظام الأسرة المصرية وحتى يعود اليها ما فقدته من هدوء وسكينة وما غاب عنها من قيم وتقاليد في بعض الأسر .

وقفة تأمل

روجيه جارودي

- رجل له مكانته في الفكر العالمي ، فقد شارك في صنع السياسة الأوروبية ، فهو سياسي ..
- وقد درس الفلسفة لتلاميذه في باريس في الثلاثينات ، فهو فيلسوف .
- وقد دفع ثمن مواقفه الوطنية ، فقضى سنوات في السجن ، فهو وطني ..
- ثم كان قطبا من أقطاب الحزب الشيوعي في فرنسا .. فهو اذن كان شيوعيا .
- وهو صاحب كتاب « حوار الحضارات » .. فهو كاتب حضاري .
- وأخيرا فهو مفكر وفيلسوف ووطني ، وكاتب ، ومسلم .
- ولاشك أنه بهذه الصفات يعتبر كسبا للاسلام وللمسلمين في عصرنا هذا الذي طغت فيه المصالح الشخصية ، والماديات ، على الفكر الحر ، وتشوه فيه وجه الحق بأباطيل الواقع .
- نحن لا نشك في أن جارودي المسلم خير من جارودي الشيوعي .. وجارودي السياسي ، وجارودي الوطني ، وجارودي الفيلسوف ، وجارودي الكاتب بلا اسلام .
- فاذا كان مسلما ومفكرا ووطنيا وفيلسوفا وكاتبا .. فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .
- ونحن لا نطعن في ايمان جارودي ، فالرجل قد شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، والرجل قد أعلن اسلامه بعد اعمال فكر ، وبلا تأثير من شخص .. وبلا شراء لضميره ، وبلا رغبة في أموال ، ولا حب في شهرة ، ولا انجذاب الى واقع مثالي يعيش عالمنا الاسلامي . إنه دين الله ، بقوته الذاتية ينتشر .. بلا رجال كهنوت ، وبلا مؤسسات تنفق على الدعاية له ، فقط لأنه الدين الذي يحل مشكلة الانسان في الحياة وبعد الموت ، هكذا قال جارودي
- رجل قرأ في الأديان ، وتربى في المسيحية ، ولجأ الى الشيوعية ، فلم يجد لديهما حلا لمشكلة الانسان المعاصر .. فنظر في الاسلام فرأى الوسطية ، والتعامل مع الواقع في محاولة للنهوض به الى المستوى الأفضل .
- نعم للرجل تعبيرات خاصة به ، وآراء فيها من الفكر غير الاسلامي قليل أو كثير ، فربما لم تتضح الصورة الاسلامية كاملة في ذهنه كما ينبغي .. وربما فهم فهما يظنه صحيحا وهو غير ذلك .. وفي هذه الحالة يجب أن نقف وقفة تأمل فيما يقول .. وننصحح له إن أخطأ .. ونشد على يده اذا أصاب .. فلا تحملنا مكانته على التسليم له بكل ما يعرض من فكر ، لأن الرجال يعرفون بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال .

فهو ـ مهما اختلف الباحثون في سبب ايمانه ـ صوت للاسلام قوي .. نرجو أن ينفع الله به المسلمين في دنياهم التي تعج بالفتن في الداخل والخارج .

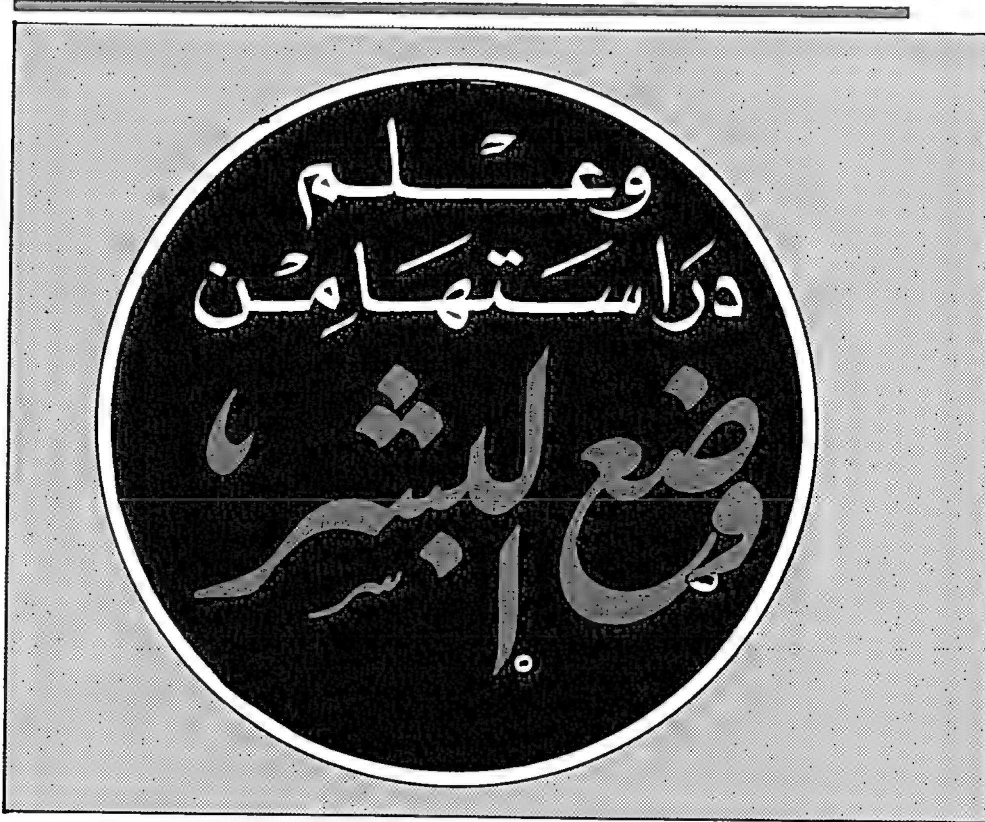


للأستاذ/ حسين ناجي محمد محي الدين

بسم الله ، والحمد لله باريء النسم الذي علم الانسان مالم يعلم وقسم بين البشر حظوظهم من الفقه والفهم كما قسم بينهم حظوظهم من المال والجاه وسائر النعم ، ونصلي ونسلم على النبي الرسول الأكرم الذي لم يحجر على مسلم فهمه وأجاز الفهمين المتعارضين ما داما في طاعة الله والتزام أمر الرسول وامتثال الأدب .

وبعــد ،،

فقد كان لي بمجلة الوعي الاسلامي مقالة بعنوان « الاجتهاد في غيب وسمعيات القرآن باطل » نشرت بالعدد رقم [illegible] شوال ١٤٠٢ ـ أغسطس ١٩٨٢ . وقد نشرت المجلة في عددها ٢١٨ صفر ١٤٠٣ هـ ـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٢ لفضيلة الأستاذ الشيخ / عبدالحميد السايح مقالا بعنوان « بماذا تثبت العقيدة ؟ » قال في صدره : « إن ما تضمنه المقال القيم للمستشار حسين ناجي محي الدين ... من نقد لمن تخيل الأعجاز في الرقم ١٩ وما ترتب عليه هو في محله غير أن المقال تضمن



أمورا ذات علاقة في إثبات العقيدة لا يصح السكوت عليها ولا المرور بها من غير تمحيص ولا تدقيق خصوصا أن غير الأستاذ ذهب إلى ما يعارض تلك الأمور ويناقضها ... والذي ذهب اليه الكاتب الكريم يتفق مع رأي بعض العلماء الأعلام ويقتضيه تعريف علم العقائد بأنه العلم بالعقائد الدينية المكتسب من الأدلة اليقينية ... وذهب آخرون الى أن العقيدة تثبت بحديث الآحاد إذا كان صحيحا وهو ما يقتضيه تعريف علم العقيدة بأنه علم يقتدر منه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه ... وذلك ما ذهب اليه الاستاذ محمد ناصر الألباني ... ورأى أن القول بأن العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي وهو القرآن الكريم والحديث المتواتر قول مبتدع لا أصل له في الشريعة الغراء ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن أحد منهم .. الخ ، وإزاء هذين الاتجاهين المتضاربين رأيت أن أحقق الموضوع من جميع أطرافه ...»

مقالتي وموضوعها أن الاجتهاد في غيب وسمعيات القرآن باطل شغلت من المجلة ثماني صفحات ، ومقال الأستاذ الأكرم الشيخ السايح شغل ست صفحات ليس في هذه الصفحات الستة ما يمس موضوع مقالي بالتأييد الا سطورا قلائل كانت في صالح المقال ، وشكرا له .

واذن فمقال فضيلة الشيخ السايح لم يخصصه ردا على موضوع مقالي وإنما كان مقالي مناسبة وجدها فضيلته متاحة ليكتب مقالا في موضوع مستقل تماما عن موضوع مقالي . ولا بأس لكن أرى أن الأستاذ الفاضل مهد لتحقيقه لموضوع اثبات العقيدة ـ كما قال ـ من جميع أطرافه بصيحة زاجرة أزعجتني حين قال إن مقالي تضمن أمورا ذات علاقة في اثبات العقيدة لا يصح السكوت عليها ولا المرور بها من غير تمحيص ولا تدقيق ، هكذا قال ، ولو أن فضيلته قال : إنه يريد أن يفصل بتحقيقه بين ما ظن أني ذهبت إليه ، وما ذهب اليه الأستاذ الألباني لكان قوله أقوم وأقسط وذلك لأنه قرر أن ما فهمه من رأيي هو ما قال به من قبلي بعض العلماء الأعلام ، فلم يكن والحال هكذا من داع لاشعار القاريء أنني أتحدث في طرق إثبات العقيدة بما لم يقل به أحد من العلماء .

هذا وقبل أن آخذ في الحديث في سبيل وضع الأشياء وضعها الصحيح أبين أن مقالي مقال يحذر من فتنة عارمة يؤججها الكائدون للاسلام وينبه العلماء الأفاضل الى ان ما ذهب اليه البهائيون وأعوانهم ومساندوهم من اثبات اعجاز للرقم ١٩ الذي جعلوه قوام القرآن الكريم في بنيته ونظامه وآياته والفاظه وحروفه ترويجا لتقديس هذا الرقم الذي هو شعارهم والذي قامت عليه غالب تشريعاتهم وطقوسهم ، أو مقال يستعرض خلافا فقهيا صرفا لا يدفع فتنة ولا ينصر كتاب الله . تقييم المقال ليس من حقه مع العلم كما هو ظاهر من مقالي أنني اخترت جانبا من جوانب المكيدة وهو الترويج بين الناس عامتهم وخاصتهم بأن الاجتهاد الموصل الى انكار ما ثبت بالقرآن محمود وإن اخطأ المجتهد ، وكان مقالي كله في دفع هذا التلبيس عن المسلمين وتنبيههم الى أن الاجتهاد لا يجوز مع نص صريح قاطع الدلالة ورد بالقرآن الكريم .

كان بودي أن يساندني أستاذنا الكريم بمقالات لا بمقال .

وكان بودي أن يدلى بدلوه في الكشف عن مكر الكائدين للقرآن وأن يدعو ، وله الكلمة المسموعة ، القادرين من العلماء ليجندوا أنفسهم للدفاع عن كتاب الله وعن غيبياته وسمعياته . والحق أن قواعد استنباط الأحكام من الكتاب والسنة وضعها البشر واختلفوا في تقييمها ، وهذه الصناعة هي صناعة الفقهاء المجتهدين ولكل منهم منهاج وسبيل ، فهي قاصرة عليهم وحدهم لا تتعدى جدواها الى غيرهم ولو كانوا من العلماء ، فلا غناء لعامة المسلمين وخاصتهم بها في غرض تثبيت العقائد بدفع الغوائل عنها وعن مقررات الدين .

أقول ذلك لأن الذين قرءوا مقال الاستاذ الفاضل الذي نشر بعد فترة هي مظنة النسيان قد تصيبهم بمقالي الظنون أو تقلل لديهم أهميته وأثره ، وقد يظنون أنني وصلت الى القول ببطلان الاجتهاد الباطل بمقدمات وأدلة تخالف قواعد استخراج الاحكام العامة ، وهذا هو التشويش الذي لم يكن يقصده فضيلة الشيخ السايح . ولا أغار على نفسي لكن أغار على حقيقة يعلمها الله ورسوله والمؤمنون الصادقون

ويجهلها أو يتجاهلها الذين يختانون أنفسهم ، فأجازوا الاجتهاد الموصل الى أنكار غيب القرآن وقالوا تشجيعا لمدعيه على عبثه بمقررات القرآن اليقينية أن له عند الله أجرا وأن له عند الناس يدا ومعروفا وتقديرا ووزنا .

كذبوا ، وضلوا ، وأضلوا .

وقبل أن أدخل في التعقيب الموضوعي على ما كتبه الشيخ السايح أود أن أوجه له الثناء الطيب على إخلاصه المشهود لعلم الفقهاء والشكر الحق على ما تفضل به علينا وعلى القراء من ثمرة دراسته وعلمه ، وقد أفاد ، كما أنني أعلنه على رؤوس الأشهاد بحبنا له وتقديرنا لعلمه وفضله .

وبعد فأدخل في التعقيب على مقال فضيلته موضوعيا فأقول إن همي في مقالي منصرف الى الجزم بأن الاجتهاد في غيب وسمعيات القرآن باطل ، وهذا العنوان ينصرف الى موضوع نفي غيب القرآن وانكاره والتحريف فيه ، ولا ينصرف الى اثباته فإن القرآن تكفل بإثباته ، ثم إن المقال لا يخص أيضا من قريب أو من بعيد الغيب والسمعيات التي جاءت في السنة المطهرة وأخبرنا بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فموضوع مقالي محصور بين أمرين ولا يناقش إلا في خصوصهما : القرآن وجحود ما فيه من الغيبيات ، فخرج من هذا التحديد السنة المطهرة كما خرج أيضا أفراد العقيدة الأخرى غير الغيبيات والسمعيات وربما كان العود الى تسجيل بعض جمل وعبارات مقالي أعون للقارىء على استعادة ثقته بمقررات المقال وهي مقررات لا تشوبها شبهة ولا يقدح فيها محال . قلت في صدر مقالي :

((يا أهل العلم تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نخوض في القرآن بغير علم وألا نؤوله بالهوى والمزاج وألا نقتحم غيب القرآن بتكذيب أو إنكار أو تحريف بزعم حقنا في الاجتهاد فإن الاجتهاد في مورد النص لا يجوز ، والاجتهاد مع النص قطعي الدلالة بدعة ، والجرأة على غيب القرآن بحجة الحق في الاجتهاد ضلال وإضلال))

وقلت ما نصه : « ... وغابت عنهم أشياء فخلطوا بين اجتهاد في فروع التشريعات لصلاح الدنيا وجرأة على الله بلغت الالحاد في كلامه عن غيبه وتحريفه عن مواضعه ظنا منهم أن الاجتهاد يتسع لهذا العبث والتلاعب بتقريرات الله في خصوص غيبه » .

ثم قلت ما نصه ... ويتجرأ على الله وعلى علمه فيقول بغيب لم يقله الله فما بالنا لو قال بغيب خلاف ما قاله الله ومعرضا له ».

ثم قلت : « وسواء ورد الخبر القطعي مكتفيا بالاشارة أو به شيء من البيان والتفصيل فإنه ليس لبشر كائنا من كان أن يورد من عنده ما يناقضه او ينافيه أو يعد له أو يغير فيه ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وأساء الى غيره وخرج على نهج الاسلام وجعل من نفسه ـ وحاشا لله وجلت عظمته ـ ندا لله في علم غيبه وهذا هو الافك العظيم والخسران المبين ».

وقلت بعد ذلك : « وهكذا يرى القارىء الفاضل أن المتدخل في الغيبيات اثباتا بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني أو المتدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه »، وغني عن البيان أن الخبر القطعي اليقيني نقصد به ما ورد بالقرآن الكريم أو السنة الصحيحة المتواترة قطعية الدلالة .

ثم قلت : « فاذا قال الفاقه لدينه أن الجرأة على الله بتكذيب خبره الوارد في كتبه المنزلة انما هو تكذيب لله فهو فسوق ومروق وردة فليسمع له الجميع وليعلموا انه لا اجتهاد لصاحب دين سماوي في خبر الله فضلا عن أن يكون انكارا له ».

ثم انتقلت من التعميم الى التخصيص فقلت ما نصه : « أريد أن أقول إن كان كبيرهم المنتهي من اكذوبة الاعجاز للرقم « ١٩ » الى انكار ملائكة النار والى تحديد وقت الساعة ، ان كان يفقه شيئا ولو يسيرا في علم الأصول ومباحث الأدلة أو شيئا يسيرا في كيفية تناول العقيدة الثابتة بالقرآن أو السنة المتواترة فانه بهذا القليل اليسير يعلم تماما أن العقيدة الثابتة بالقرآن لا مجال فيها للاجتهاد خاصة اذا وصل هذا الاجتهاد الى انكار مفهوم ظاهر النص ، فهو بهذا العلم وان كان يسيرا يكون سجل على نفسه سوء نيته وسوء قصده نحو القرآن وأهله ، فلا يجوز أن يحتج له عاذر بالاجتهاد ، ولا يقبل منه اجتهاده ..... ومن جهة أخرى فان اجتهاده لا يقبل لأن موضوعه عقيدة ثابتة في الدين بالنص القطعي اليقيني ، وكل بحوثه وجهوده مرفوضة لأنها انتهت الى انكار العقيدة» وغني عن البيان أيضا أن لفظ العقيدة هنا مراد به الغيبيات والسمعيات .

نكتفي بهذه العبارات التي سجلناها بحذافيرها لنصحح مسار الفهم لمقالي ونخرج منها بما يأتي :

١- أن الموضوع خاص بغيبيات وسمعيات القرآن .

٢- أن الموضوع خاص بشجب ورفض الاجتهاد في انكار وجحود ما هو ثابت من الغيبيات والسمعيات .

اذن فنحن تناولنا عنصرين : احدهما : الغيبيات ، وثانيهما : انكارها لا اثباتها كما ظن الشيخ السايح .

والآن أريد أن أسأل الشيخ السايح هل لفضيلته اعتراض على أن نفي غيبيات وسمعيات القرآن لا يجوز ولا ينهض به اجتهاد وأن النص القرآني قطعي الدلالة « وهو أيضا قطعي الورود » ، لا يمكن أن يكون مجالا للاجتهاد ولا يجوز أن نعالجه بتحريف أو تزوير أو تزييف أو انكار وأننا اذا أردنا أن نثبت نسخه فلا يكون ذلك الا بناسخ في قوته يكون قطعي الورود قطعي الدلالة ولا تتوفر هذه الأوصاف الا في نص قرآني آخر أو في حديث صحيح متواتر ، ومع العلم أننا لا نعلم وما أظن أن غيرنا يعلم أن غيبا قرآنيا حصل أن نسخه نص قرآني أو نص حديثي .

فاذا قلنا - بمجرد الفرض النظري - أن الغيب الثابت بالقرآن أو بالحديث مهما كانت درجته لا يمكن نسخه ولا نفيه ولا انكاره الا بنص مماثل في القوة أو أقوى

وأعلى منه درجة فما نكون قد تعدينا الصواب فانه ليس لبشر كائنا من كان ان ينفي أو يعدل أو يغير أو يناقض خبرا غيبيا قطعي الثبوت والدلالة الا اذا قدم الدليل على أن خبرا غيبيا قطعيا صدر ناسخا للأول بأي وجه من وجوه النسخ ، وهو ما لم يحصل مطلقا .

ونحن نقرر من حيث الاثبات ـ لا من حيث النفي ـ أن الحديث ولو كان من الآحاد يصلح لبعض أفراد العقيدة ، كما نقرر أنه غير غائب عنا أن الحديث المتواتر على قسمين أحدهما ما رواه جماعة موثوقة عن جماعة موثوقة الى أن تصل الجماعات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا القسم قليل ، والثاني حديث الآحاد الذي هو في حكم المتواتر بكونه عن ثقة ثبت عدل ، وقد حاز القبول عند الأمة وصدقته أو عملت به . وأن المتواتر بقسميه يصلح لاثبات العقيدة لا لنفيها .

ولو أحسن فضيلته الظن بنا ولم يتعجل علينا لأحسنه فيما ورد في مقالنا متضمنا وصف التواتر أو ما في معناه أو كان من لوازمه مثل القطع واليقين .

ونحن نعالج ما بقي من اللبس بنفس الطريقة التي عالجنا بها فيما سبق ، فنذكر بعض عبارات مقالنا بنصها ، فنسجل وبالله التوفيق ما يأتي :

قلنا ما نصه : « ... أما العقيدة فلا يقررها الا القرآن أو الدليل القطعي والا الحديث الموافق تماما والمطابق لنص القرآن او الحديث المتواتر قطعي الثبوت وقطعي الدلالة ، والقرآن لم ينزل عقيدة مطلوب من المسلم الايمان بها الا قررها فأية عقيدة تكون زائدة عما ورد في القرآن فانه لا يؤبه لها ولا يؤخذ بها ، ونتحوط فنقرر أن كلا منا هذا خاص بالعقيدة في شأن الغيبيات .. » ويعلم الله اننا نقصد بكلمة زائدة أنها طارئة على الدين .

وفحوى هذه العبارة أن الغيبيات التي وردت في القرآن او في الحديث الموافق للقرآن « ولو كان حديث آحاد » أو في الحديث المتواتر قطعي الثبوت « مثل حديث الآحاد المشهور » قطعي الدلالة لا يمكن تبديلها والزيادة عليها من عند انفسنا . فهل يرى فضيلته خلافا بيننا وبينه في تقرير هذا الأصل من اصول الايمان .

وقلت: « فالغيب لا يؤخذ العلم به بالظن ولا بالاجتهاد ولا بالقياس ».

ومن قبل ذلك قلت في صدر المقالة ان أصدق القائلين قال : « **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)** الاسراء/ ٣٦ ، وقال : **(وما يتبع اكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون)** يونس/ ٣٦ فالظن هنا ليس هو الوصف الذي يوصف به الخبر من كونه ظني الثبوت أو ظني الدلالة انما هو القول بغير علم . فهل أجد من أحد مخالفة لي في ذلك .

وقد سجلنا في العبارة الآتية أن السمعيات حصل لنا العلم بها من القرآن ومن الرسول ، قلنا ما نصه : « فالسمعيات أو التي نسميها الغيبيات التي لم يتصل بنا علمها الا عن طريق السماع من رب العالمين قرآنا نزل على سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم أو وحيا تكلم به سيدنا محمد بالفاظ من عنده ، هذه السمعيات نمثل لها بالساعة « القيامة الكبرى » والجنة والنار والجن والملائكة والبعث والنشور والحساب والجزاء الخ ».

كما أثبتنا للحديث الشريف انه المصدر الثاني لعلمنا بالغيبيات قلنا ما نصه : « فان علم المسلمين في جانبه الديني اعتمد الدليل المستمد من الخبر حيث كان القرآن والسنة هما المنهلين الرئيسيين والمصدرين المعتبرين لعلم العبادات ، والتشريعات ، فضلا عن علم الغيبيات ».

وقلنا تأكيدا لما سبق ما نصه : « ... وبعبارة أخرى فان النص اليقيني القطعي سواء من القرآن أو السنة غير قابل دائما للتأويل او التفسير والاجتهاد خاصة اذا كان متعلقا بالسمعيات وهي المغيبات فان الله يأمرنا الا نتعقب أو نقفو ما ليس لنا به علم ».

والآن وقد ظهرت لفضيلة الاستاذ الفاضل مقاصدنا بجلاء ووضوح نصل الى العبارة التي سجلها علينا والتي كانت مبعث مقاله القيم ، وسنعيد تسجيلها لتكون تحت نظره مرة أخرى بعد الذي قدمناه ، ونؤكد أن سيادته كان تفهمها على عجل فلم يسمح له الوقت بتدبرها ، قلنا : «ومن المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وأئمة المسلمين بل عليه الاجماع في كل العصور أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة « وقد قيدناها في مقالنا بأنها التي تتصل بالسمعيات » فانه يجب ان يكون يقينيا يعني متواترا فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ، ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر ولو كان صحيحا فضلا عن أن يكون ضعيفا أو موضوعا ، وذلك بخلاف الأحكام الشرعية فانه يكفي لتقريرها الخبر الصحيح الظني وهو خبر الآحاد .

ونود أن نوضح عبارتنا ونؤيدها بعبارة في مقالة فضيلة الشيخ السايح ، قال: « وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة ، وهو أحد قسمي المتواتر ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع ».

وما قاله فضيلته مما هو معلوم له ولنا ولغيرنا من الدارسين لا يزيد عما قلناه ولا يدحضه ولا ينقص منه . فنحن اشترطنا في الخبر - الحديث - إفادته العلم اليقيني ، والعلم اليقيني يفيده الحديث المتواتر كما يفيده حديث الآحاد المشهور الذي صدقته الأمة واعتقدت فيه وهو يلحق بالمتواتر في الحكم نعني في إفادة اليقين . فما هو الخلاف إذن بيننا وبين الشيخ السايح ، من وجهة نظرنا لا نجد خلافا خاصة وأنه قد نقل في مقاله القيم عن شرح كتاب مسلم الثبوت « ووصفه بأنه من كتب أصول الفقه المعتبرة » ان الأكثر من أهل الأصول ومنهم الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي على أن خبر الواحد ان لم يكن المخبر معصوما نبيا لا يفيد العلم مطلقا ، ثم قال الاستاذ السايح ان العلم هنا يقصد به وجوب الاعتقاد . فخبر الواحد « غير المتواتر بقسميه » لا يحتج به في العقيدة اثباتا ومن باب أولى نفيا عند الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي . وما عدوت ما قاله

وأجمع عليه جمهور الأئمة . بل ان الشيخ السايح نقل في مقاله عن فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية أنه يجب العمل بالأحاديث الصحيحة قطعية السند والدلالة ، التي يتفق المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالها وأنه أراد بها الصورة التي وردت عليها ، وأن هذه الأحاديث يحتج بها في العقيدة . بل انه نقل عن فتاوي الشيخ ان خبر الآحاد الذي تلقته الأمة بالقبول والاتفاق أو الذي اتفقت على العمل به « وهو المشهور وهو أحد قسمي المتواتر » ذهب طوائف من المتكلمين أنه لا يفيد العلم يعني لا يحتج به في العقيدة وان كان عامة الفقهاء واكثر المتكلمين قالوا بأنه يفيد العلم . واستشهد فضيلة الشيخ السايح بالامام الحافظ ابن عبد البر الأندلسي الذي قال ان اكثر أهل العلم وجمهور أهل الفقه والنظر وعلى رأسهم الشافعي أن خبر الواحد العدل لا يفيد العلم بمعني لا يحتج به في العقيدة .

وانتهى الشيخ السايح الى اثبات رأي استاذنا المرحوم الاستاذ ابو زهرة وهو أن الأصل في اثبات العقائد لا يكون الا بالكتاب الذي لا يقبل التأويل ، والسنة المتواترة التي تثبت العلم الضروري ، وأما خبر الواحد فانه لا يثبت العقائد اثباتا قطعيا وأما الخبر الذي يرويه الواحد الثقة العدل عما يكون في آخر الزمان من مثل أخبار الدجال ونزول المسيح فانه يكون مقبولا .

وبعد ، وعلى فرض أننا كنا نقصد طريق اثبات الغيبيات لا طريق انكارها فهل يرى القارىء أن ما قلناه كان مخالفا لجمهور العلماء والأئمة والمتكلمين وأنه كان من المخالفة بحيث ينبغي عدم السكوت عليه ولا المرور به دون تمحيص كما قال الشيخ عبد الحميد .

والآن أريد أن أحتكم الى الشيخ السايح نفسه والى ما نقله في مقاله والى ما سماه خلاصة ورأيا ممحصا ، فهل لا يزال فضيلته عند قوله : « والذي ذهب اليه الكاتب الكريم يتفق مع رأي بعض العلماء الأعلام ..؟ » لقد قرأنا له هو نفسه ما نقله من كون أئمة الفقه الثلاثة من الأربعة المشهورين : أبو حنيفة ومالك والشافعي يقولون بما قلناه ، فهل الأكثرية العددية توصف بالبعضية أو توصف بأنها الجمهور ؟؟ وهل كتاب مسلم الثبوت وشرحه الذي وصفه بأنه من أمهات كتب الأصول وفتاوى الامام ابن تيمية من البعض أو انهما يضافان الى الأكثرية والى الجمهور ؟

ولا تبقى الا مسألة فرعية ليس الشيخ الفاضل مسئولا عنها فقد نبه في أحد المواقع من تلخيصه كما نقل تنبيه الآخرين محذرا تكفير المسلم فيما يصح به الاجتهاد . ربما ظن الظانون أن الشيخ ـ حفظه الله ـ يقصدني ويعنيني ، وهذا الظن في غير محله لأسباب على رأسها أنني لم اذكر كلمة الكفر في مقالي بطوله ، وعندما وصفت شخصا بالظلم لنفسه ، فقد عنيت كل من خرج وتمرد على قول الله في كتابه الكريم فأنكره أو جحده ، ولم ألزم أحدا من الناس بأن يتبنى رأيي أو رأيا بذاته والا كان كافرا ، إنما قلت وأقول وأكرر أن الذي يكذب كلام الله بصريح اللفظ أو بمداورته ولفه وخبثه واحتياله في الاجتهاد فانه مارق من الدين كافر بما

أنزل على اشرف الخلق وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

وأود قبل أن اختتم تعقيبي الذي تعمدت اختزاله وقصره على المراد فأقول ان كان الذي حرك الشيخ هو فقط قطعي وجزمي باجماع العلماء وأئمة المسلمين في كل العصور ، فقد أثبت بمقاله هو نفسه أن الجمهور في كل العصور من علماء وأئمة قالوا بالرأي الذي اخترته ، والمسافة بين الاجماع والأكثرية الغالبة مسافة بسيطة ، هذا على فرض أنني كنت أقصد اثبات احدى العقائد على اطلاقها ، لكني قصدت دحض وتفنيد تسويغ نفي احدى العقائد الثابتة بالخبر اليقيني الثبوت قطعي الدلالة بل كنت أخص خبر القرآن بالذات ، وشتان بين اثبات حصول ووجود ، واثبات نفي وعدم ، وان كان شيخنا قد درس ودرس اثبات العقائد فتأثر بما وضعه العلماء والأئمة من قيود واعتبارات في سبيل هذا الاثبات الا أن الأمر يختلف في حالة اثبات النفي والعدم فما صلح لاثبات الحصول قد لا يصلح في اثبات النفي ولنضرب للشيخ مثلا فمن أراد أن يثبت للمسلم أن الله احد تلا عليه قوله تعالى : « **قل هو الله أحد** » في سورة الاخلاص أو أي حديث ولو كان من الآحاد يتضمن هذا التقرير ، لكن الذي يريد أن يثبت للمسلم أن الله غير أحد فانه لا يقبل منه حديث ولو كان صحيحا ولو كان متواترا في نفي أحدية الله .

والغيبيات والسمعيات يختلف بعضها عن بعض من حيث الاثبات ومن حيث النفي ، ولأضرب لذلك مثلين أحدهما الموكلون بجهنم فقد قرر الله في قرآنه أنهم ملائكة فلا يجوز أن نلقى السمع الى حديث صحيح ولا متواتر ينفي تقرير الله . والآخر ما ورد في الكرسي (الذي ذكره الله في آية الكرسي » فعن ابن عباس أنه هو العلم ، وفي الطبري عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » وهو حديث صحيح . فأولا نقول ان الحديثين معا لم ينكرا ولم يجحدا أن لله كرسيا فهما بعدم انكارهما صادقان من هذه الناحية ، لكن أحدهما صحيح ويوحي أن الكرسي ليس شيئا معنويا والآخر أقل درجة ويقول بأن الكرسي هو العلم ، ففي هذه الحالة نحن مخيرون بين الحديثين أيهما شئنا صدقناه وأخذنا به لأن كلا منهما لا يمس العقيدة إنكارا ، بل نستطيع أن نوفق بينهما بأي لون من ألوان التوفيق العقلي . وهكذا أمكننا أن نأخذ بالمروى عن ابن عباس ولم يصل في درجته الى الصحة وأمكننا أن نأخذ بحديث ابي ذر أو أن نطرحه رغم صحته ، ذلك كله بسبب :

(١) أن الأمر يخص من العقيدة بعض أفرادها وهي السمعيات.
(٢) وأنه يخصها اثباتا على وجه من الوجوه .
(٣) وانه لا يتصل بجحودها وانكارها .

ولنضرب مثلا آخر بالقلم ، فعن عبادة بن الصامت كما ورد في سنن أبي داود قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ، قال يارب وماذا أكتب ، قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم

الساعة ». ومع ذلك ففي شرح العقيدة الطحاوية أن العلماء اختلفوا هل القلم كان أول المخلوقات أو العرش ، وذلك لما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال وعرشه على الماء رواه مسلم والترمذي ، فاختلاف العلماء بين حديث صحيح وحديث أقل منه رتبة لا يقدح في فهم كل منهم فالذين قالوا في حديث عبادة بن الصامت أن كلمة أول الواردة في أول الحديث تنطق بفتح اللام قالوا ان الحديث لا يتعارض مع الحديث الصحيح . أما اذا كانت كلمة أول مرفوعة على الابتداء وكلمة القلم مرفوعة لأنها خبر المبتدأ فان الحديث يفيد أن القلم مخلوق قبل أي شيء آخر . ومع ذلك فلا يتحتم أن يغلب الحديث الصحيح الحديث الأقل درجة، وذلك لأن الحديثين يجتمعان في اثبات وجود القلم وان كانا يختلفان في أولوية القلم أو العرش أيهما أول . ومثل ثالث فقد اتفق أهل السنة والجماعة ومن بينهم ابن حزم أن الميت في قبره يكون في نعيم أو عذاب فقد ورد في الحديث ان الميت ليسمع خفق نعال مشيعيه عند انصرافهم بعد دفنه وأن الملكين يقعدانه لسؤاله ، لكن ابن حزم من دون الجماعة قال ان العذاب والنعيم يكون للروح وحدها وخالف الجماعة التي تقول ان الاقعاد من الملكين للميت لا يكون الا لجسمه وليس لروحه وأن اختلاف الضلوع من شدة ضمة القبر تكون للجسم لا للروح .

وهكذا نرى أنه يجوز أن نختلف مادام الاختلاف لا يكون على اصل الاثبات أما اذا كان الاختلاف على النفي بأن يدعي مدعي النفي فانه لا يقبل منه دليل على مدعاه الا بحديث أقوى درجة وأصح نسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما أرى داعيا لأن نبسط القول في هذه البديهيات التماسا للايجاز المفيد .

لكن أعود الى مولانا الشيخ السايح بمجرد استفسار عما جابه به الاستاذ الشيخ الألباني حيث ذهب الى ان حديث الآحاد يؤخذ به على اطلاقه في العقائد وأن القول بوجوب ثبوتها بالدليل القطعي وهو القرآن والحديث المتواتر قول مبتدع لا أصل له في الشريعة الغراء ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن أحد منهم الى آخر ما قال في رسالتيه « الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام »، « ووجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة » لقد انتهى فضيلة الاستاذ السايح في مقاله القيم الى معارضة هذا القول وأثبت عدم صحته وتعارضه مع ما نقله فضيلته عن الامام الشافعي وعن شيخ الاسلام ابن تيمية وعن الحافظ ابن عبد البر الأندلسي ، ما أعلم أن الشيخ السايح سبق له اظهار جزعه من رأي الألباني مع كونه على خلاف الجمهور ولا أعلم له كتابا في الرد عليه ولا مقالا في تخطيئه ، ولم يصف قول الألباني بأنه مما لا يمكن السكوت عليه بل كل ما قال فيه أنه غير صحيح وأنه يتعارض مع ما نقله من أقوال الفقهاء والأئمة ، وعدم الصحة والتعارض وصفان نسبيان فقد يكون الشيء متعارضا وغير صحيح في نظر المعارض لكنه صحيح في ذاته . لكن عدم جواز السكوت وعدم جواز المرور من غير تمحيص أو تحقيق أوجع كثيرا من عدم الصحة فالصحة كما قلنا نسبية أما ما لا يجوز السكوت عليه فهو

المنكر الذي لا وجه للدفاع عنه أو الخطأ الفاحش الذي يمس عقيدة مثلا ، وأطمئن الشيخ السايح أن ملتمس علمه وفضله كاتب هذا التعقيب سلخ من عمره خمسين سنة في قراءة دينه ومحاولة استيعاب ما أفاء الله على أئمتنا وفقهائنا وعلمائنا من فهم في كتاب الله وتصريف لحديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم . ومعلوم أنني لم أكن أكتب فيما تثبت به العقيدة ولكن كنت اكتب في عدم جواز نفي العقيدة فان كانت في كتاب الله فلا يجوز اطلاقا وان كانت في الحديث وحده فلا يجوز الا بحديث أقوى درجة وأعلى مرتبة .

ويطيب لي أن أنهي هذا التعقيب الموجز بأن أشير الى أن كلمة الاثبات وما في معناها في مقالي قصدت بها ـ كما ينطق الحال ـ في كثير من المواضع محاولة المارقين اثبات نفي ما هو ثابت بالقرآن أو السنة المطهرة ، وليس العكس ، كما أن كلمة العقيدة تكررت لكن القرائن تشير الى أني قصدت بها في مواضع كثيرة قسما معينا من أقسام العقيدة وهو المغيبات والسمعيات .

وأعيد ذكر النص الذي كان موضوع اعتراض الشيخ السايح بعد هذا البيان والتوضيح ، قلت « ومن المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وأئمة المسلمين بل عليه الاجماع في كل العصور أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب أن يكون يقينيا يعني متواترا فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر ولو كان صحيحا فضلا عن أن يكون ضعيفا أو موضوعا . الخ» والتعلق المشار اليه قد يكون بالاثبات كما يكون بالنفي ، وان كنا قد دللنا بأثر من نص وعبارة على أن التعلق المشار اليه انما هو من جهة النفي لا من جهة الاثبات .

وبعد هذا التوضيح يمكننا أن نعيد نفس النص بنفس المعنى الذي قصدناه وبنفس القيود التي أشرنا اليها فيصير : « ومن المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وأئمة المسلمين بل عليه الاجماع في كل العصور أن الخبر اذا كان متعلقا بنفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن السمعيات فانه يجب أن يكون يقينيا يعني متواترا أو خبر آحاد استفاضت شهرته وصدقته الأمة ، فهذا الخبر اليقيني وحده هو الدليل القطعي في شأن نفي ما سبق ثبوته ولا يؤخذ في هذا النفي بأي خبر آخر ولو كان صحيحا فضلا عن ان يكون ضعيفا أو موضوعا ...» .

وإضافة الى ما سبق ومن باب التزيد يطيب لنا أن ننقل ما قرره المرحوم استاذنا محمد أبو زهرة كما أورده فضيلة الشيخ السايح في مقاله وكان نصه : «.. وعلى منهاج الشافعي نسير والأصل في اثبات العقائد لا يكون الا بالكتاب الذي لا يقبل التأويل والسنة المتواترة التي تثبت العلم الضروري ، وأما خبر الواحد فأنا نرى مع وجوب منع رده ووجوب قبوله لا يثبت العقائد اثباتا قطعيا فاذا كان قد ذكر بالسنة غير المتواترة أمور اعتقادية كبعض الأخبار عما يكون يوم القيامة وعما يكون في الجنات من نعيم مقيم ، وعما يكون في آخر الزمان من أخبار الدجال ونزول

المسيح عليه السلام وغير ذلك مما ذكر في أخبار الآحاد التي يرويها الثقات العدول، فاننا نقبله ولا نرده ، ولكن لأن التكفير أمره خطير واعتبار المسلم مرتدا مع احتمال الغلط في أخبار الآحاد يمنع من اعتباره قطعيا في السند ، وكذلك ما يكون متواترا يحتمل التأويل غير المتكلف فانه يقبل النص ولكن لا يعتبر مرتدا . الخ ».

وواضح من هذا التقرير أن السمعيات والغيبيات ليست كلها سواء في وجوب التصديق بسندها من السنة فهي درجات من حيث قبولها فمنها ما يثبت بالقرآن الذي لا يقبل التأويل بمعنى أن يكون قطعي الدلالة ومنها السنة المتواترة التي تثبت العلم الضروري وبعضها يمكن اثباته بخبر الواحد المشهور المصدق من الأمة والذي حظى بقبولها وبعضها يمكن اثباته بخبر الواحد الثقة العدل ولو لم يستفض ويأخذ نصيب غيره من الشهرة بل ان بعضها يعول في اثباته على الحديث الضعيف . ولو استقرأنا مفردات العقائد السائدة بين جمهور المسلمين ما وجدناها خرجت في ثبوتها عن ذلك ، وهذا أمر معقول للغاية بسبب أن العقائد مختلفة من حيث أهميتها وخطورتها واتصالها بالتوحيد الخالص وأثرها في يقين المسلم بربه ورسوله وكتابه ودرجتها من حيث وجوب التصديق بها أو جوازه أو الوقوف عند عدم انكارها ، وهكذا والأمر لا يحتاج الى مزيد ايضاح لكن لا مانع من ضرب الأمثلة فان الايمان بالجنة والنار والملائكة والبعث والنشور أعلى درجة وأكبر خطورة من الايمان بأوصاف النار التي لم يذكرها القرآن ، أو وصف الصراط أو سعة جهنم طولا وعرضا أو كونها تسجر كل يوم نصف النهار ، أو أوصاف جبالها وأوديتها وعيونها وأنهارها . وقول الله تعالى : « **عليها ملائكة غلاظ شداد** » التحريم/٦ ، لا يستوي في وجوب الايمان به ايمانا جازما مع التصديق بأن جسر جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف ، فان هذا الأخير أقل مرتبة .

هذا من حيث الاثبات والثبوت ودرجات التصديق من وجوب وجواز وتوقف ، أما من حيث النفي ومعارضة ما جاء في نصوص الاثبات فكيف يتصور عاقل أن خبرا غيبيا قطعي الدلالة ورد في القرآن يلغيه أو ينفيه خبر عن الرسول . أو كيف يتصور عاقل أن خبرا من الرسول صحيحا متواترا قطعي الدلالة ينفيه خبر آحاد عن الرسول لم يستفض وان كان صحيحا . ونكرر أننا بسبيل موضوع الغيبيات والسمعيات لا بسبيل موضوع آخر .

ومن هنا قلنا ما قلناه ، ونعيد تأكيده بأن « المتدخل في الغيبيات اثباتا من عند نفسه بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني أو المتدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه وافترى على الله وادعى لنفسه ما ليس لها ، هذا فضلا عن أن ينحرف الى التكذيب والانكار والتحريف والتزوير ...» ومعلوم أن المتدخل هنا وصف لانسان يريد أن يأتي من عندياته بجديد فخرج بذلك أن يكون هو الرسول بدليل أن عبارة الخبر القطعي اليقيني تشمل القرآن والحديث ومن هنا طالبنا هذا المتدخل أن يأتينا بخبر قطعي يقيني يؤيد به نفيه للخبر الثابت بهذا

الطريق فان لم يفعل فقد ظلم نفسه وافترى على الله الكذب وادعى لنفسه ما ليس لها .

وواضح أننا كنا ـ ولا زلنا ـ نعني بمقالنا من تجرأ على الله وكتابه ورسوله فنفى أن يكون على جهنم تسعة عشر ملكا غلاظا شدادا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وقال إن عليها حروف البسملة مع كون الذي قرر هذه الحقيقة هو القرآن في موضعين من سورتين ، والقرآن خبره قطعي يقيني فكيف نقبل من هذا المارق ـ اثباتا لنفيه ـ خبرا يكون أقل درجة من خبر القرآن من حيث الثبوت وقطعية الدلالة فضلا عن كونه لجأ الى التحريف والتزوير وتزييف القول . ثم هو نفسه الذي حاج المسلمين بحديث موضوع أسند فيه الى سيدنا رسول الله موافقته لليهود في المدينة على أن قيام الساعة يحددها عمر رسالته وأن عمر رسالته يحددها جمل الحروف المقطعة التي في أوائل السور ، ومن أسف أن البيضاوي هو الذي أورد هذا الحديث في تفسيره الف لام ميم من سورة البقرة ، فكان لا بد أن نقرر القاعدة التي لا تخطيء وهو أن خبر الله في قرآنه لا ينفيه الا قرآن مثله ـ وهيهات أن يعارض القرآن القرآن في اخبار الغيب ـ وأن ما يثبت بالقرآن من كون علم الساعة عند الله وحده وأنه لا يطلع على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ، كما ثبت عن الرسول أنه لا يدري ما الساعة ، لا يمكن معارضته ونفيه بحديث ولو كان في أعلى درجات الصحة ولو كان متواترا ، فضلا عن أن يكون ضعيفا أو موضوعا ، ولو كان الامام البيضاوي رحمه الله أخذ بمقاييسنا ما كان تورط بذكر حديث آحاد ضعيف أو موضوع كان تكأة لزعم الدجالين علم الساعة .

وبعد ، فاننا نقدر للشيخ اسايح علمه ، ونحمد له غيرته على تراث السلف من أصوليين وفقهاء ، وان كنا نحب له ولأنفسنا أن يكون منبعنا الغزير الفائض ما ارتاح له واضع علم الأصول ومقعد قواعده الشافعي رحمه الله تعالى ، ونسأل الله للشيخ السايح طول العمر وندعو أن يشرح الله صدره لأن يدلي بدلوه في مشكلات العصر وما ورد على المسلمين من سموم المستشرقين وكيد الكائدين ، ونود أن نقرأ له كثيرا في الرد على الجديد المستحدث من فنون مكر الزائفين وخداع الكارهين لدين الله المحاربين الله في كتابه ورسوله في سنته ، وأذكره وأفكر نفسي أن ممن ينتسبون الى علوم الدين الحنيف قائمون الآن لا يفترون في وصف الرسول بالمجتهد الذي يخطيء ويصيب مما لا يلزمهم مع تغير العصور والأزمان اتباعه ، كما قالوا ـ فض الله افواههم ـ إن في القرآن نصوصا معطلة وينبغي أن تبقى معطلة لتطور الزمان قالوا ذلك في الصحف والندوات العامة .

والله يتولانا بفضله ولطفه ويمدنا بعونه ومدده .

وقفة تأمل أخرى

المروق من الدين

للأستاذ / أحمد العناني

أثارت هيئة تحرير مجلة الوعي الاسلامي في المقال الموجز الذي ضمنته العدد العشرين بعد المئتين الصادر في ربيع الثاني ١٤٠٣ يناير / فبراير ١٩٨٣ قضية غاية في الأهمية ، تحت عنوان « المارقون من الدين » ، ومع أن المقال كتب بعناية مدققة ، واحساس واضح بالمسئولية الا أنني أعتقد بأن اغلاق الباب في هذا الأمر عند مجرد ما ورد في المقال المذكور جدير بألا يكون مقبولا بحال من الأحوال ، والواقع انني أحسست احساسا عميقا بأنني مخاطب لأن أعقب على هذا المقال بالذات لأنني أعتقد بأن تركه بالاجمال الذي ورد عليه ، والايجاز الذي كان لابد أن يتغاضى معه عن بعض الغموض ربما يؤدي الى سوء الفهم عنه ، ولقد كنت اتمنى لو أستطاعت هيئة التحرير الموقرة أن تكتب بشيء أكثر من التفصيل فلقد كانت في تصوري تحسن بذلك ولا تسيء أبدا ...

المروق أفضل من عبارة المارقين :

انني أفضل الحديث عن « المروق من الدين » دون الكلام عن « المارقين من الدين » مادام الكلام تعميما لا يشير الى شخص بالذات ، اذ لاشك أن المروق من الدين أمر فادح ومن حق كل مسلم أن يقاومه ما وسعته المقاومة ... لكنك حين تتحدث عن مارقين بعينهم فانني أرى أن من حق القارىء أن تعين هؤلاء له بصراحة حيثما كانوا لئلا يختلط الأمر ويحسب بعض المخلصين من دعاة الدين وأهل الفضل بأنهم ربما كانوا مستهدفين بالمقال لمجرد أن شيئا مما لا ترضاه هيئة التحرير في متحدث عن الدين ينطبق عليهم بينما هو غير مقصود في كلمة التحرير أبدا ...

الحديث في الدين .... من يتولاه ؟

ليس هناك شك في أن العلوم الاسلامية من تفسير وحديث وفقه وعلوم اللغة من بلاغة وأدب ونحو هي دراسات تقتضي التخصص ممن يريدون فهمها فهما سليما وافيا بالغاية ، كافيا لشئون الافتاء في الحلال والحرام وتفسير آي الذكر الحكيم ، وبيان الوجه الدقيق للقدوة

برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة مصطلح الحديث وتاريخ تدوينه وكيفية التثبت من درجة الحديث من حيث صحته أو ضعفه وسائر ما يتعلق باسناده ورواته ومدى موثوقيتهم .

هذه أمور لا مجال فيها لشك او نقاش ، إن احدا لا يتصدى للكلام في الحلال والحرام الا بعد ان يكون الدهر قد جب سنامه جبا شديدا بمجاهدة الكتب ، والسهر المضني في ظلام الليل ، وبعد تأهيل معقد المراحل يواكبه تزكية العلماء الآجلة الأبرار من اهل الفهم والتبحر والاخلاص . ولقد كان علماؤنا المتخصصون يتهيبون الكلام في التفسير والحديث ، والافتاء بالتحليل والتحريم تهيبا ما بعده تهيب ، ويرتجفون لو حملوا عليه ارتجافا شديدا ، ويتحاشون ما وسعهم الجهد وظائف الافتاء ، ولقد يبكي بعضهم بكاء صادقا اذا ما ساقته الظروف سوقا للجلوس للناس في بيوت الله او دور العلم للحديث في مثل تلك الموضوعات الخطيرة ..

ولا تكاد قصص رجالات العلم المسلمين حيال هذا الأمر تستكشف وتروى هذه الأيام ، فهناك أئمة أفاضل ضربوا وعذبوا لقبول وظيفة أو الموافقة على مقولة لا يؤمنون بها ولا يرون صوابها ، وهناك آخرون امتنعوا اطلاقا عن الكلام في التفسير او تصنيف الأحاديث النبوية الشريفة تهيبا من المسئولية أمام الله تعالى ومحاذرة من الوقوع في التباس او تزكية راي غير صواب .

وعلى العموم كانت للعلم هيبته وكانت له كرامته ، ويتمثل ذلك تمثلا رائعا في مسلك الامام ابي حامد الغزالي أرضاه الله حين جيء به ليتولى التدريس في مكان استاذ له توفاه الله وذلك بالجامعة النظامية ببغداد ، وتسامع الناس بأن ابا حامد يباشر التدريس ذلك اليوم فتقاطروا من كل صوب ... حتى اذا جلس يواجه الناس أطرق إطراقة طال وقتها حتى رماه بعض الحاضرين بالضعف والعجز وحين رفع رأسه اخيرا اذا الدمع قد بلل عارضيه واذا هو يقول في ذلك الموقف المهيب :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن البلاء تفردي بالسؤدد

وهكذا فاني مع هيئة التحرير في انه لا ينبغي كلام في العلوم التخصصية الا لمتخصص متبحر ما تعلق الأمر بحلال أو حرام أو كان الكلام في موضوعات فقهية محضة ليست من اختصاص مرتجل ولا متأمل مهما يبلغ من الذكاء وصفاء النية وحسن الخلق ، كالناسخ والمنسوخ والحلال والحرام ... هذا أمر لا خلاف عليه ولا جدال فيه ...

أخلاق العلم وأعداء الاسلام :

وانا مع هيئة تحرير الوعي في الحملة الشديدة على كل متنطع يتحدث في الاسلام ويدعي الغيرة عليه ، والعلم به ، وهو رجل مبتلى بكل ما يخالف عن أوامر الاسلام ونواهيه ، مبتلى بالمنكرات ... كما انه رجل زنديق متستر يتشبث بكلمة الحق يريد بها الباطل ، وفي هذا الصدد أود أن اصرح بما لم تبده هيئة التحرير علنا وهو أن للأحزاب الشيوعية مخططا قديما مدروسا للعمل الحزبي في صفوف المسلمين يقتضيهم الأختلاط بالجماهير والتحدث باسم الدين ، وتبني قضايا الناس ، والزعم بأن الشيوعية هي مجرد نظام اقتصادي يراد به تحقيق أكبر مغانم للشعب وليست موقفا لا ضد الدين ولا معه .. وبطبيعة الحال فهذا كله افتراء منكر ، فان رسالة لينين عن الدين وهي جزء من كتاب الشيوعيين المقدس تعلن صراحة أن الألحاد شرط اساسي لكل عضو في الحزب الشيوعي .

وفي هذه المناسبة فان تطفل الحزبيين الآخرين من اشباه الشيوعيين من القوميين على الاسلام شيء فظيع .. انهم اناس لا صلة لهم بالقرآن ولا بالسنة ولا بتاريخ الرسول ولا تاريخ الاسلام ومع ذلك يعتمدون على كلمات متطايرة من هنا وهناك ، وقد يعدها لاقناعهم بشيء ما جماعة من غير المسلمين فيرددونها كالببغاوات ...

هؤلاء الناس جزء من طفح الشر والفساد اللذين استشريا في امتنا منذ الخمسينيات من هذا القرن وهم فعلا كارثة ، وقد كانوا وكانت افعالهم بالأمة كوارث متلاحقة .. ولهيئة تحرير الوعي الاسلامي كل الحق في الشكوى منهم ...

ان شرط العلم النافع من العالم الحق أن يحمله صاحبه باخلاص المؤمن الصادق واخلاقه وشرف مسئوليته واين ذلك من هؤلاء الانتهازيين المدفوعين امامن الأجانب أو بأحلام مغرورة مغررة غير مبررة ..

الطبيب والمهندس والاسلام :

غير اني رايت في حديث التحرير عن اشتغال بعض المهنيين والعلماء بالاسلام كالأطباء والمهندسين تعميما يبلغ حد التجني لا على افراد بالذات احسب ان محرري الوعي الاسلامي يعنونهم مثلا ، ولكن ارى تجنيا على حق اي صاحب مهنة في ان يصبح فقيها ، وتلك واحدة من اعظم واجل مزايا الاسلام مما لا ينبغي للسادة العلماء في مجلة الوعي الاسلامي أن يتجنوا عليها بحال من الأحوال ! ومتى كان في الاسلام احتكار للمعرفة بكل جوانبها ؟

اليس الله جل جلاله يخاطب كل أهل الألباب أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض ؟
اليس الله جل جلاله يكلف الناس بأن يتدبروا القرآن ويفهموا معانيه ويعيشوا بوحي ذلك الفهم ؟

اليس هو الذي يعيب على من سبقونا ممن هجروا التوراة وتركوا العمل بها بأنهم كالحمير تحمل اسفارا ؟

اليس كل مسلم مطالبا بالمشاركة في عملية الفهم العام المسماة بالثقافة الاسلامية ؟
وماذا كان عمل أبي حنيفة رضي الله عنه ؟ الم يكن بزازا تاجرا فلو ان الاسلام جعل لرجل العلم مواصفات مادية محددة ونوعا من المهن مبينه الم نكن نخسر الوفا من اجل وأشرف رجالات العلم في التاريخ الاسلامي ؟

إن امتهان مهنة للحياة والمعيشة امر لا يحجب حق المسلم في دراسة العلوم الاسلامية والتبحر فيها واذا استطاع طبيب أن يستكمل مؤهلات العالم الحق فهل نقول له قف لا تتكلم لأنك طبيب ؟

فلو قالت هيئة التحرير ان ثمة اطباء يتحدثون في امور متخصصة من الدين فيما هم لم يحصلوا على شيء من التأهيل في العلوم الاسلامية فاننا نقول معكم يا هيئة التحرير حق .. ولكنكم فيما تقولونه تتركون الأمر مطلقا ؟

ومع ذلك فهذا رأي في التفسير :

لست اعتقد بانني وحدي في الدعوة الى قيام مؤسسة اسلامية عالمية مركزية لتفسير القرآن الكريم ... ويجب أن تشمل اللجنة اناسا من أهل الاسلام من ذوي الأهلية والرغبة والأصالة ، فضلا عن تبحرهم في علومهم لكي يساهم كل واحد في توضيح ظلال المفردات

والتراكيب الطبية والهندسية والبيولوجية والفلكية في القرآن الكريم ، ولكي لا ينفرد احد براي ، ولكي يرى المتبحرون في العلوم الدينية المحضة كيف يمكن تنسيق هذه الأفكار العلمية مع الأطار العام لفلسفة النص الاسلامي والتدبر في كل منطوى من منطويات الفكرة الجديدة قبل الحديث عنها او تعميمها ...

المرحوم سيد قطب .. الناقد الأدبي :

الم يكن المرحوم الشهيد البر الأستاذ سيد قطب ناقدا ادبيا من الدرجة الأولى ؟ وإن حسن فهمه للنصوص وحسن تقييمه لها ، ودقة ذوقه في مقارنتها ، واسلوبه الفذ في استقراء الكلمات والتراكيب اسرارها ، واحساسه برفيف حروفها ، وظلال معانيها كان مما أفاد شباب المسلمين حين وضع مؤلفه الكبير « في ظلال القرآن » ..

لم يقل سيد قطب رحمة الله عليه انه يكتب تفسيرا للقرآن ولم يقل انسان متواضع ككاتب هذه السطور انه يقدم تفسيرا للقرآن ، لكنه تكلم حول القرآن في اكثر من مئتي حديث في اذاعة الكويت ... والكلام حول القرآن او في ظلاله شيء والتفسير شيء آخر .

ولماذا نضيق ذرعا بمحبي الدين الذين يخلصون في خدمته والدعوة له .

لقد كنت منذ عشر سنوات في اسطنبول قرب دار الولاية حين رايت « طابورا » طويلا جدا من الشباب المتزاحم عند مكتبة هناك فلما سالت ما الحكاية ؟ .. قيل يصدر اليوم جزء جديد من الترجمة التركية لظلال القرآن لسيد قطب وهؤلاء الشباب يتزاحمون ليؤمن كل نسخته ؟؟

فهل اساء سيد قطب للأسلام ؟

ولكن هذه الظاهرة سوف تنتهي ؟

لم تبق مؤسسة للمسلمين لتخريج العلماء الأفذاذ على المستوى الذي نحياه ... هذه هي الحقيقة التي نتج عنها فراغ جعل الناس في لهفة بالغة لسماع من يخاطبونهم بلغة العصر واسلوب العصر ، وسرعة العصر ، وموسوعية عالم العصر ، والحس الاعلامي لعالم العصر .

الم يكن العلماء المسلمون ، ايام عزة الاسلام ، في مستوى عصورهم وكانوا بذلك قادة كل معارضة لجبروت الطغاة وخطل المفترين على الدين ؟

ثم إن العلم الاسلامي لم يكن مهنة ؟ ابدا ما كان في يوم من الأيام فنطالب بنقابة للعلماء تحفظ حقوقهم كما يطالب الأطباء ؟ لكن القول بشروط الفقيه كلام حق ويجب ان يمنح كل محقق لهذه الشروط إجازة للكلام في قضايا الدين بغض النظر عن مهنته ما تكون !

وفي الوقت نفسه يجب ان نحرص كل الحرص على فتح الابواب امام كل واحد في الأمة للتفقه على قدر ما يستطيع في دينه ، حتى يظل كل مسلم ومسلمة خفيرا ضد كل من يحاول التلاعب بافكار المسلمين وعقائد المسلمين ....

واخيرا فان كل متقن للكتابة على الآجر يتالق كالشمس كما قال السومريون قبل خمسة آلاف سنة ...

والعالم الحق تشع انواره ولا يحتاج الى نقابة تحميه من تفقه الكثيرين في دينهم .

هذا وللسادة الأجلاء هيئة تحرير الوعي الاسلامي غاية تقديري وحبذا لو فتح هذا الموضوع لآراء اخرى تكون لوجه الله تعالى ... وهو عز شانه ولي التوفيق .

تعقيب

نشرنا ورقة التامل للأخ الاستاذ / احمد العناني ، كاملة ، شاكرين له حسن ظنه بنا ، ومقدرين غيرته على العلم والعلماء .. ونحن بدورنا نرجو ان تكون للعلم هيبته وللعلماء مكانتهم . ونقول :

○ جعلنا عنوان وقفتنا المارقون من الدين .. لاننا نقصد هؤلاء الدخلاء والادعياء والذين يتحدثون في الدين باهوائهم ، وبلا وازع من ايمان صادق ، ويخدعون الناس . ولفظ « المارقون » جاء به الحديث الشريف ، فهو صحيح .. ولسنا نقصد « المروق » بذاته ، فلا افضلية هنا .

○ نعم لم تصرح باسماء من نعنيهم ، وهذا ادب اسلامي تعلمناه ، فقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول : « ما بال اقوام يقولون كذا وكذا » مع انه كان يعرفهم باسمائهم ، لان المهم هو المعنى المقصود لا الاشخاص بذواتهم ، اما انه قد يظن شخص بنفسه ظنا غير حسن .. فهذا تماما هو ما قصدنا اليه ، أن يناقش المتحدثون في الدين أنفسهم في دوافعهم واسرارهم ، فمن خلصت نيته ، وتوافرت فيه شروط العالم ، وقال حقا فقد أحسن .. ومن اساء فعلى نفسه جنى .

○ وقلنا : إننا في عصر التخصصات ، ودعونا الى أن نلتزم بذلك في العلم بقضايا الدين واحكامه فلا يتكلم في الدين ويتصدر للافتاء الا من توافرت فيه شروط الفقيه ، وهذا هو الذي نقصده تماما .. فمن كان عالما بالدين حقا فله حق الافتاء ، بصرف النظر عن كونه طبيبا ، أو نجارا ، او مهندسا ، او فلاحا .

○ أما الطبيب غير العالم بالدين ، والمهندس غير العارف بعلوم الحديث ، والتاجر الذي يعرف حساب الربح والخسارة فقط ، فلا شان لهم بالحديث في امور هي من اختصاص الفقهاء ، وهذا هو الذي نعني الم نقل : والمراة المتبرجة التي تفتي في مسالة الحجاب .. فالقصد واضح يا استاذنا .

○ وقد دعونا الى نقابة للعلماء ، يصدر هنا راي جماعي ، يستانس بخبرة الطبيب ، وثقافة المهندس ، وعلم الفلكي ، بما يخدم الاجتهاد الاسلامي ، ويمنع الدخلاء والمتنطعين من بث سمومهم ، وخبثهم في أذهان الناس ، ونصون للعلماء مكانتهم ، وللعلم قدسيته .

○ ونقول لأستاذنا العناني ، وقد حاول احراجنا مع « ابي حنيفة » شيخ الائمة ، و"سيد قطب » شهيد الاسلام : إن أبا حنيفة ـ رضي الله عنه ـ كتب ما كتب وكان إمام مذهب فقهي عظيم ، بصفته بحرا في العلوم ، وموسوعة في المعرفة ، لا بوصفه بزازا أو تاجرا فقد عرفنا أبا حنيفة الفقيه العالم التقي الورع الصادق في معاملته وتجارته ، واشتهر بعلمه ، وليس بتجارته .

وأما سيد قطب عليه رحمة الله ، فلم يخرج عن حدود علمه واختصاصه حينما كتب « في ظلال القرآن » بل كتب ما كتب بروحه الاسلامي ، وحسه المرهف ، وذوقه الأدبي ، وموهبته الدعوية ، فهو لم يخرج عن دائرة اختصاصه ، ومن قديم كان هناك تفسير يغلب عليه طابع استنباط الأحكام ، وتفسير يغلب عليه طابع بيان أوجه الاعجاز في القرآن الكريم ، وتفسير يغلب عليه الطابع اللغوي ، فليكن طابع « في ظلال القرآن » طابعا أدبيا دعويا وهو كذلك فقد كان سيد رحمه الله داعيا الى الله .

○ اترانا بعد هذا قد أسانا الى أحد ، أو تعرضنا للعالم المخلص ولو بالتلميح !! .. فقط قصدنا هؤلاء المارقين من الدين .. ولن نسميهم .

ضَرَاعةٌ

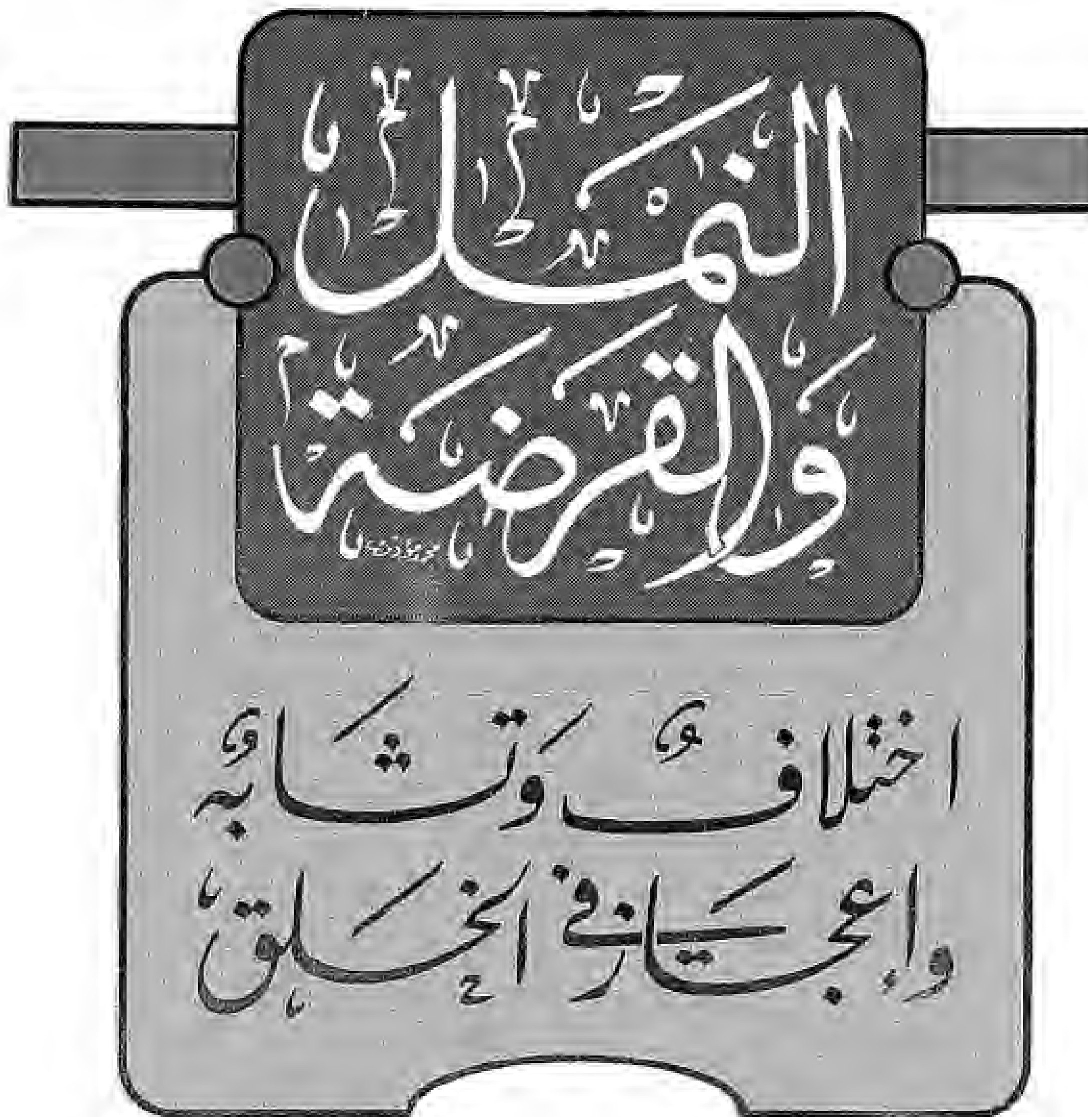
خفقاتُ قلبي ، والقلوبِ مُوزّعاتٍ في العوالِمْ
في أضلعي أجتمعت وأجّت كالجُذى ، غُصَصٌ توائِمْ
شَوكٌ بحنجرتي ، صُداعٌ كالرّحى للرأسِ قاضِمْ
يالائمي في الهمِّ ، قَرَّحَ مُقْلتي مُقَلٌ سَواجِمْ
أبصرتُها بمشاعري ، بالرّوح ، تَنْزِفُ في مآتِمْ
تبكي وتشكو بَثّها للّهِ ، مِنْ كُرَبٍ جَواثِمْ
أخذت بخانقةِ العبادِ يَسُومُها الطّغيانُ غاشِمْ
وأنا المُكبّلُ هاهُنا ، والوسْعُ ضاقَ ، ولا مُداعِمْ
في خافقي ، الغُرُّ الشّبابُ عليهُم أنقضّتْ أراقِمْ
وبِمسمعي ، رُغْمَ المدى النائي ، استغاثاتٌ عظائِمْ
قَرَعَتْ ببحّتها السماءَ ، تلوذُ من فتكِ مُداهِمْ
باللّه ، تصرخُ .. تَستَجير من الخنى لِحَق الكرائِمْ
مَنْ لِلحرائرِ يا غيورُ ، ولِلأُباةِ ذوي الشّكائِمْ
يا ربُّ أنتَ المُرتجى ، ما مِنْكَ حينَ تَشاءُ عاصِمْ

المضطر

للأستاذ / عمر بهاء الدين الاميري

فِي شَهْرِ مولد مُصطفاكَ أبي المَراحِمْ والملاحِمْ
وقلوبُ كُلِّ المسلمينَ لِطَلْعَةِ الذِّكرى بَواسِمْ
المُبْتَلَوْنَ الصّابرونَ ، وعَزْمُهُمْ فاقَ العَزائمْ
يتضرّعونَ .. ويجأرونَ .. فَقَدْ تفاقمتِ المظَالِمْ
شَهَرَ البُغاةُ الكافِرونَ على رِقابهمُ صَوارِمْ
والمؤمنونَ على يقينٍ أن يوم الفتحِ قادمْ
لكنّهمْ يتضوّرون من العَذاب .. مِنَ الجرائمْ
وزفيرُهُمْ بضراعةِ المُضطرِّ حَشْرَجَ في الحلاقمْ
يا ربُّ ، هِجّيراهُمُ يا ربُّ ، يا ربَّ العوالم(١)
بَلَغَ الزُّبى سَيْلُ المكائِدِ والمآسي والمآثمْ
ولأنْتَ ، يا رحمانُ ، بالضُّرِّ الّذي يَشْتَدُّ عالمْ
ولأنتَ جبّارُ الجبابِرِ ، مُفْطِرُ الحُمَمِ القواصمْ
ولأنتَ كاشِفُها ، اذا ما قُلْتَ «كن» كانَتْ حواسمْ
عَجِّلْ بما يَختارُ فَضْلُكَ ، أنتَ في الأكوانِ حاكمْ

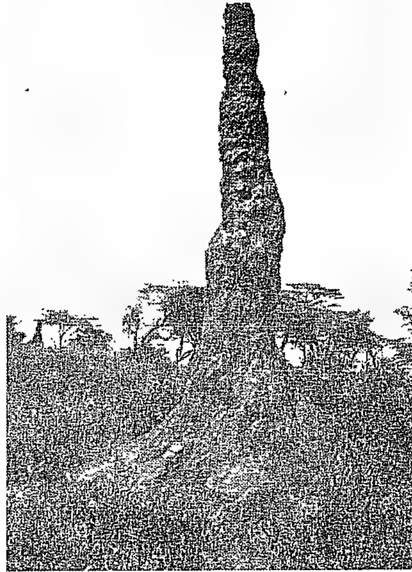
(١) هجيراهم : عادتهم ، اي عادة المضطرين ان يضرعوا إليك يا رب فاستجب دعاءهم



للدكتور/ ابراهيم سليمان عيسى

في دنيا الحشرات نجد النمل الحقيقي والقرضة وهي ما يطلق عليها النمل الأبيض وفي الحقيقة فان القرضة « أو النمل الأبيض » ليست من نوع النمل ، ولا حتى بيضاء اللون غير أن لونها باهت وتشبه النمل في معظم العادات والطباع والسلوك بيد أنهما مختلفان في الأصل والتركيب وتتجلى فيهما قدرة الخالق وإعجازه عندما نتأمل قرى النمل ووديانه

وطباعه وسلوكه وتشتهر القرضة بأنها بناء ماهر . والقرآن الكريم يوجه الأنظار إلى تلك المخلوقات وما فيها من أسرار وطباع وما لها من لغة تتواصل أفرادها بتلك اللغة . وقد أطلق اسم النمل على سورة من سور القرآن الكريم وفي الآية (١٨) من هذه السورة يقول الله تعالى : (**حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**)



ليست هذه « مسلة » أو أحد معالم بلدمن البلدان .
لكنه أحد عشوش النمل الأبيض التي يبنيها في الأحراش . إرتفاع ومتانة وروعة وهندسة وإعجاز ، سبحان الخالق .

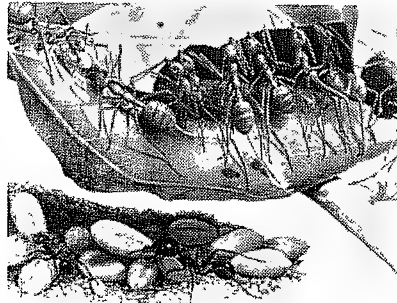
ويصل العلم بعد أربعة عشر قرنا من الزمان ويتأكد أن للنمل لغة مسموعة يتخاطب بها كما يقرر العلم أن للنمل مستعمراته ولكل مستعمرة قلاعها ومساكنها ، وأن النملة تعتبر من أسخى وأجود الكائنات الحية . وانها دائما حسنة الظن حتى بأعدائها . وللنمل كيس يشبه المعدة يوجد فوقها يطلق عليه الكيس الاجتماعي تملؤه بالغذاء المهضوم لتمد به كل من تلقاه من نمل جائع . ويثبت العلم حسن الظن عند النمل ، لهذا فقد أحسنت النملة الظن بسليمان عليه السلام وجنوده إذ لو حطموا النمل ، فليس ذلك عن قصد بل وهم لا يشعرون .

وفي هذا المقال سوف استعرض أوجه التشابه والاختلاف بين النمل والنمل الأبيض « القرضة » حيث نرى الاعجاز والابداع وتهيئة هذه المخلوقات وتيسيرها لما خلقت من أجله .

أولا ـ **النمل الأبيض** : يطلق عليه أيضا القرضة . ويتبع رتبة حشرية تسمى متساوية الاجنحة ويطلق عليها علميا اسم order: Isoptera وهي حشرات صغيرة أو متوسطة الحجم أجزاء فمها من النوع القارض ، يوجد لها زوجان من العيون المركبة والبسيطة كما أن لبعض أنواعها فتحة لغدة أمامية تستعمل إفرازاتها في الدفاع عنها . ويوجد من هذه الحشرات أفراد ذات أجنحة طويلة ، وأفراد ذات أجنحة عادية ، وأخرى

عديمة الأجنحة ، وعندما توجد الاجنحة تكون متساوية في الشكل والحجم وتفوق البطن كثيرا في الطول ومن هنا أخذت اسم الرتبة متساوية الاجنحة . يوجد عند قاعدة الجناح درز او عرق يتقصف عنده الجناح بعد تأدية وظيفته ، وتبقى قاعدة الجناح المتقصف متصلة بالصدر يتكون بطن النمل الابيض من عشر حلقات واضحة ، والرسغ مكون من ٤ عقل بالاضافة إلى الكثير من المميزات والتحورات التركيبية وزوائد الجسم وتحورات تلك الزوائد . مما يحق لنا أن نقول أن النمل الابيض حشرات يسرها الله سبحانه وتعالى لما خلقت له . وتنتشر هذه الحشرات إنتشارا كبيرا في مختلف البيئات والمواطن .

تعيش هذه الحشرات معيشة اجتماعية في مستعمرات آية في الروعة والجمال ، ومحصنة من الأعداء تحت الأرض أو داخل الأخشاب بعيدة عن الضوء وكثيرا ما تشاهد مختفية « داخل العشوش » التي تقوم



النمل الحقيقي من الحشرات غشائية الأجنحة .



« بعض أنواع النمل محارب مستميت »

ببنائها . والقرضة معروفة بمهارتها في إعداد مساكنها وقلاعها ففي أحراش بعض البلاد توجد أبنية مرتفعة عجيبة ، يبلغ طولها اثنى عشر قدما أو أكثر ، والبناء متين مدهش عجيب وإذا طالعت هذه الأبنية فأنت أمام قرية للحشرات « القرضة » أمهر بناء في دنيا الحشرات . وقد قدر بعض الباحثين عدد سكان عش حشرة القرضة « النمل الأبيض » بثلاثة ملايين من هذه المخلوقات العجيبة ، وهو عدد يقارب تعداد معظم المدن الكبيرة . وأفراد النمل الأبيض المختبئة يغلب عليها اللون الأصفر الباهت ، أما الأفراد التي تحتم عليها وظيفتها كثرة الخروج من العش فلونها عادة يكون أسمر أو مائلا للسمرة .

دورة حياة النمل الابيض :

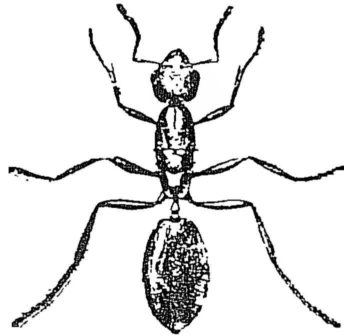
تتميز هذه الحشرات بوجود أفراد خصبة وهما الذكر والانثى « **الملك والملكة** » وأفراد عقيمة هي الشغالات والجنود « العساكر » ولكل فرد في المستعمرة أو العش عمل معين يؤديه

بجد ونشاط ومهيأ لاداء هذا العمل من تـركيب جسمه وتكـوين أعضائـه وخلافها .

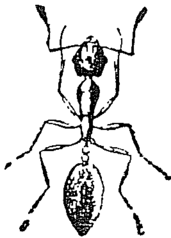
الأفراد الخصبة : الذكر يكون أصغر من الانثى « **الملكة** » التي يتضخم بطنهـا كثيـرا لامتـلائـه بالبيض . الملكة تضع مليون بيضة في العـام ، وتعيش أكثـر من خمس سنوات ، والملكة عندما يتضخم وزنها تبلغ حوالي أربع بوصـات طولا ، وتكون أكبر من الذكر في هذه الحالة ١٥٠ مرة ، ولو أن حجمه أكبر في الواقع من معظم أفـراد القرضـة الأخرى ، وقدر بعض الدارسين أن ملكة النمل تضع خلال حياتها ما يقرب من عشرة ملايين بيضة ، وأن مدة حياتها قد تصل في بعض الأنواع إلى أكثر من ثلاثين عاما . ويفقس بعض البيض إلى عساكر وذكور وإناث وشغالات ، وحتى الآن غير معروف سر التوجيه لأن الفقس يتم بنسب غير ثابتة ، إنها قدرة الله « **الذي خلق فسوى** » والجدير بالذكر أن الملكات والملوك الحديثة تترك المستعمرة في أسراب للتزاوج ، ثم يكون كل زوج من ذكر وأنثى مستعمرة جديدة ، وتتقصف أجنحـة الذكـور والاناث « الملوك والملكات » بعد التزاوج ولا يبقى من الأجنحة سوى جزء صغير يتصل بمنطقة الصدر من الحشرة .

والغريب أن التكاثـر بواسطـة الذكور والانـاث هو الطبيعي لكن أحيانا تتزاوج بعض الشغالات أو الحوريات الكبيرة أثناء وجودها في العش ، وتعرف مثل هذه الحالات بأنها أفراد تناسلية إضافية وهذه تعاون الملكة في بنـاء المستعمرة . وتتميز بأن أجنحتها قصيرة وصفاتها تكون وسطا بين الأفراد الخصبـة « ذكور وإناث » وبين الأفراد العقيمة « شغـالات وجنود » ويحـدث عدة تغيرات بعد التلقيح في جسم الملكة منها اضمحلال عضـلات الاجنحة وعضلات الفكوك وتتغير طبيعة نوع غذائها .

فبعد أن كانت تتغذى على الخشب ، تصبح بعد التلقيح تتغذى على لعاب الشغالات أو على هيفات الفطر ، حيث نجد أن بعض أنواع النمل الأبيض



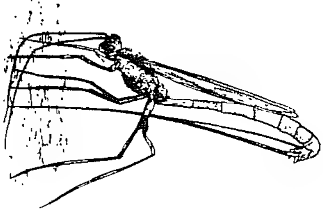
الملكة (نمل حقيقي)



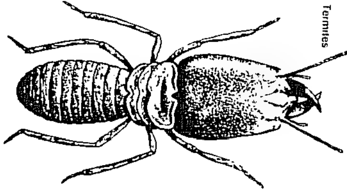
الشغالة (نمل حقيقي)

يزرع الفطر في عشوشه ليتم التغذية على هيفات الفطر . ويتغير تبعا لذلك مكونات وأعضاء الجهاز الهضمي لديها . ويشمل هذا التغير اختفاء واضمحلال الأمعاء الخلفية وفي نفس الوقت تزداد أنابيب ملبيجي في الطول « **الجهاز الاخراجي** » كما يزداد حجم وطول الحبل العصبي والقلب زيادة كبيرة .

الافــراد العقيمــة : وتشمــل الشغــالات والجنــود ، والشغــالات « Workers » عبارة عن حشرات عقيمة ذكورا وإناثا باهتــة اللون عــديمة الأجنحة ووظيفتها جمــع الغذاء ، وإطعام الملكات والجنود ، والصغار تتغذى على المواد النباتية كالأخشاب ومنتجاتها وتطعم الأفراد الأخرى على سائل تفرزه من فمها وعلى الأفراد الميتة وجلود الانسلاخ ، وتقوم بمعظم الأعمال داخل المستعمرة . أما الجنود « العساكر » Soldoers فهي ذكــور عقيمة أكبر حجما من الشغالات ؛ رأسها متضخمة وفكوكها العلــوية كبيرة ، تهاجم الأفراد الغريبة التي تدخل المستعمرة ، كما تسد برءوسها الثقوب الموجودة في جدر الممــرات والطــرق ، وتساعــد عــلى نظــافــة المستعمرة وتأكل الميت من صغار النمل . ومن المدهش أن الشغالات الصغيرة تكون عادة عمياء ، تتلمس طريقها في الحيــاة بأعضــاء حس دقيقة ، توجد على قرون استشعارها وعــلى أرجلها وأجــزاء أخرى من الجسم . وتتجاوب هذه الأعضاء مع



نمل حقيقي



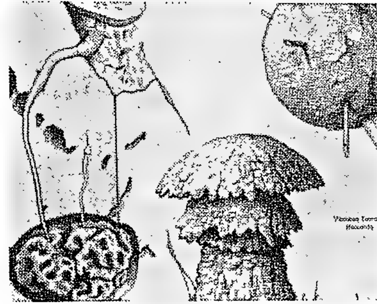
نمل ابيض (او قرضة)

التذبذبات كما يحدث في جهاز المذياع « الــراديو » ويقــال أن القــرضــة تستطيع التخاطب بطريقة لاسلكية خاصة بها لم يتوصل العلم إلى إماطة اللثام عنها . والشغالات تبنى قراها بواسطة جمع حبات الرمل أو ذرات التراب ، وتخلطها بلعابها وتلصقها معا فتصبح كالاسمنت ، وتقيم بهذه الطريقة مســاكنها ، التي تتخللهــا الحجرات والانفاق مثل شوارع المدن الكبيرة .

والنمل الأبيض شديد الضرر ، حيث يتغذى أساسا على الأخشاب

وتصيب جذوع الأشجار والأعمدة والأثاث والأرضيات والسقوف والأبواب والنافذ المصنوعة من الخشب ، وتحدث أضرارا بالغة للحبوب والمواد المخزونة الأخرى كالبلح الجاف ، وتكون سببا في هدم منازل قرى بأكملها ، كما تتلف الكتب والأقمشة والأبسطة ، وكل ما هو مصنع من الخشب ، ومن جهة أخرى يتغذى على النمل الأبيض الكثير من الحشرات الأخرى والحيوانات المتعددة ، وبالجملة فان النمل الأبيض وإن كان أمهر البنائين فهو أمهر المخربين ، والخسارة الناتجة عن هذه الحشرات تقدر بمئات الملايين من الدولارات في أنحاء العالم .

ثانيا ـ النمل الحقيقي : ويتبع رتبة حشرية يطلق عليها غشائية الأجنحة order hymenoptera وهي حشرات داخلية الأجنحة وتعيش معيشة اجتماعية وشكلها مميز نظرا

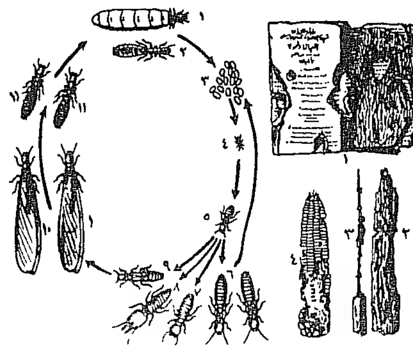


يزرع النمل الأبيض الفطريات لتتغذى على هيفاته الملكة بعد التلقيح .

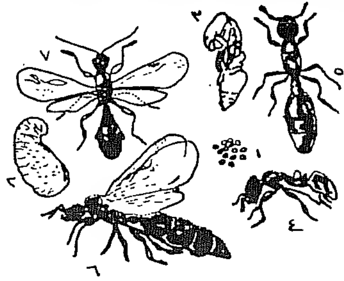
لوضوح تركيب الجسم ورأسها قد تصل إلى أحجام كبيرة في بعض الأنواع ، والنمل ذو براعة وذكاء وحب للادخار ويبني قراه ويحفر الأنفاق وله مدينة غريبة وقد يعلن الحرب ويأخذ المنتصر أسرى من النمل الضعيف ، تعيش شغالة النمل الحقيقي حوالي سبعة أعوام ، والملكة إلى ما يقرب ـ كما قدر بعض الحشريين ـ من ثمانية عشر عاما ، ويأكل هذا النمل كل أنواع الطعام وتتشابه عاداته وطباعه وسلوكه مع النمل الأبيض مع اختلاف الشكل والتبدل ، وفي مستعمرة النمل الحقيقي توجد الملكة وتتميز بكبر الحجم وبنمو الأجهزة التناسلية ، كما توجد الشغالات وهي إناث ضامرة التكوين أي أن الأعضاء التناسلية فيها مضمحلة ، وتقوم بجميع الأعمال في المستعمرة ، ويوجد الذكر أيضا ، وفي المستعمرة نجد الذكور والملكة والشغالات مختلفة في الشكل والتركيب العام للجسم ، ويطلق العلماء على هذه الظاهرة تعدد الأشكال Polymorphism ولا وجود للجنود في النمل الحقيقي ، وتتعدد أنواع النمل وأحجامه ، فهناك النمل المنزلي ونمل الاشجار والنمل الكبير « **حرامي الحلة** » وتسبب أضرارا كبيرة للمخازن والمواد السكرية خاصة ، كما يعتبر النمل من أشد الأعداء للنحل (نحل العسل) رغم تقاربهما في العادات والسلوك وتبعيتهما لرتبة حشرية واحدة . كما يتلف النمل النباتات المجففة واللحوم المجففة والمعدة للتغذية .

معظم أنواع النمل تعيش تحت الأرض . ولكن بعض الأنواع ويطلق عليها النمل النجار يقيم مساكنه في الأشجار الميتة وأخشاب المنازل القديمة .

وترتفع مساكن النمل الحقيقي بضعة أقدام ويبلغ عرضها عدة أقدام . وتبلغ ملكة بعض أنواع النمل حجما قدر حجم الشغالة مائة مرة . وتأخذ الشغالة في النمل الحقيقي أشكالا متعددة وصف بعض العلماء أكثر من عشرين صنفا وشكلا للشغالة ، وأغرب الأشكال تلك الشغالات التي أصبحت بمثابة براميل حية لخزن الرحيق وعصارة بعض الأشجار والنباتات ، وهي تمتلىء بهذا السائل الحلو حتى تنتفخ معدتها كالبالون الصغير ، وتتعلق في سقف العش عاما بعد عام وتملؤها الشغالات الاخرى بالرحيق .



دورة حياة النمل الأبيض (القرضة) ومظهر الاصابة به في الخشب والمطبوعات وغيرها .



أطوار نوع من النمل الحقيقي .

١ ـ البيض
٢ ـ اليرقة
٣ ـ العذراء
٤ ـ شغالة (انثى عقيمة)
٥ ـ انثى خصبة غير مجنحة .
٦ ـ أنثى خصبة مجنحة .
٧ ـ ذكر خصب مجنح .

والسؤال يا عزيزي القارىء هل توجد تضحية بالنفس تماثل هذه التضحية في اي مجتمع آخر . وللنمل اعداء كثيرة كالخنافس والسحالي والضفادع . والغريب أن هناك بعض الشعوب تأكل النمل ، ويقال أن طعم النمل المحمر يشبه طعم الجوز المحمص . ويحتوي لعاب النمل على حامض الفورميك الذي يسبب الالم من عضة النمل ولسعه ، وقد يصل حجم بعض أنواع النمل الحقيقي الى ما يقرب من البوصة وهناك أنواع كثيرة من النمل غريبة ومتباينة الطباع والسلوك ، وتختلف في كل شيء إلا أنها جميعا مظهر لقدرة الله وحكمته وإبداعه . والمتتبع لحياة النمل وسلوكه يرى العجب العجاب . هذا خلق الله . سبحانه وتعالى .

آداب النوم والاستيقاظ في الإسلام

للأستاذ / عبدالرحمن البر

نعمة النوم :

يعتبر النوم نعمة كبرى من النعم التي أنعم الله بها على عباده ، وبخاصة الانسان ، وقد منّ سبحانه على عباده بهذه النعمة وذكرهم بها في غير آية ، فقال تعالى :

(ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) النمل / ٨٦ . وقال سبحانه : **(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في**

ذلك لآيات لقوم يسمعون) الروم / ٢٣ . وقال جل ثناؤه : **(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا)** الفرقان / ٤٧ .

ويذكر سبحانه وتعالى حكمته في خلق الليل والنهار فيقول :

(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الي يوم القيامة مَنْ إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة مَنْ إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) القصص / ٧١ - ٧٣ ... الى آخر الآيات التي تبين أن النوم نعمة من الله ومنة تفضل بها على عباده . ذلك أن النوم يريح الجسم من التعب ، ويزيل الاعباء والكلل ، ويخلص الجسم من السموم المتراكمة ، ويساعد على بناء أنسجة الجسم التالفة ، ويساعد على الهضم ، ويريح القلب ، ويساعد في علاج بعض الأمراض خاصة العصبية ، كما أن النوم علاج ناجع للقلق .

وليس من شك في أن الانسان - كغيره من الحيوانات - يحتاج فطريا للنوم ، وذلك من أجل إمكان الاستمرار في تأدية وظيفة الخلافة في الأرض والسعي فيها .

وسنورد هنا بعض الآداب التي طلب الاسلام مراعاتها عند النوم :

كيفية النوم وحكمتها :

يستحب أن ينام الانسان على طهارة ، وأن يضطجع على شقه الأيمن وأن يضع يده اليمنى تحت خده .

فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال : قال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

(إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم أضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ... الخ الحديث) متفق عليه .

وروى الترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أراد أن يرقد وضع يده اليمني تحت خده .. الحديث .

وقد ذكر الأطباء حِكَماً شتى للنوم على الشق الأيمن منها :

أن النوم على الجانب الأيمن يمنع ضغط الكبد على المعدة ويساعدها على تفريغ محتوياتها ، كما يمنع ضغط المعدة والحجاب الحاجز على القلب مما يسهل عمله .

أما النوم على الشق الأيسر فانه يسبب ضيق النفس حيث تضغط المعدة والكبد على القلب وعلى الرئة اليمنى .

أما النوم على البطن والصدر فيلزم منه أن يلوى الانسان عنقه الى أحد الجانبين حتى يتنفس ، وهذه ضجعة مبغوضة - فقد روى أبو داود بإسناد صحيح عن يعيش بن طفخة الغفارى قال : قال أبي : بينما أنا مضطجع في

المسجد على بطني اذا رجل يحركني فقال « إن هذه ضجعة يبغضها الله » قال : فنظرت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد جواز الأستلقاء على القفا فعن عبدالله بن يزيد - رضي الله عنه - أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - مستلقيا واضعا احدى رجليه على الأخرى . (متفق عليه) .

ولكن اذا كان الانسان قد تناول طعاما فان النوم حينئذ على الظهر يكون رديئا ومزعجا ، حيث أن أمتلاء المعدة بالطعام يجعلها تضغط على الشرايين والأوردة ، فتعرقل وصول الدم منها الى القلب ، فتقل بذلك كمية الدم التي تصل الى المخ ، وهذا يؤدي الى كثرة الأحلام المزعجة .

كذلك عند النوم على الظهر ترفع الأحشاء الحجاب الحاجز الذي يضغط بدوره على القفص الصدري ، فيحس النائم بالضيق ويكثر انزعاجه .

تلاوة القرآن عند النوم :

يستحب للانسان تلاوة القرآن عند النوم . وقد وردت الأحاديث ببعض الآيات والسور التي يستحب قراءتها عند النوم . من ذلك تلاوة المعوذات ، وآية الكرسي ، وخواتيم سورة البقرة ، وسورة الاسراء ، والزمر ، والواقعة ، والمسبحات ، والكافرون .

فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما « قل هو الله أحد » و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات . (رواه البخاري وأصحاب السنن) والنفث : النفخ اللطيف بلا ريق .

وفي حديث أبي هريرة - المروى في البخاري - أن الجنى قال له « إذا أويت الى فراشك فأقرأ آية الكرسي لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي هريرة : « صدقك وهو كذوب - ذاك شيطان » .

وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلته كفتاه) أي : كفتاه من قيام الليل ، أو كفتاه من الآفات في ليلته .

وروى الامام أحمد عن الحارث بن جبلة - رضي الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله علّمني شيئا أقوله عند منامي . قال « إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ : قل يا أيها الكافرون ، فانها براءة من الشرك » . وكذا روى مثله عن فروة بن نوفل عن أبيه .

وروى أبو داود وأحمد والترمذي وقال : حديث حسن غريب ، عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ المسبحات قبل أن

يرقد . (والمسبحات هي السور التي تبدأ بالتسبيح وهي سور : الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة ، والتغابن) .

وروى النسائي وأحمد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت « .. وكان (أي النبي ـ عليه الصلاة والسلام) يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر » (بني اسرائيل هي سورة الاسراء) وروى الترمذي مثله عن عائشة أيضا .

وذكر ابن كثير في تفسيره أن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا) .

وروى أبو بكر بن السني في « عمل اليوم والليلة » عن أنس ـ رضي الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوصى رجلا اذا أخذ مضجعه أن يقرأ سورة الحشر وقال « إن مت مت شهيدا » أو قال « من أهل الجنة » .

ذكر الله عند النوم :

ينبغي للانسان أن يذكر ربه عند النوم ، ويكره له أن يترك ذكر الله تعالى . فقد روى أبو داود باسناد حسن عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (من قعد مقعد [illegible] الله تعالى فيه كانت عليه من [illegible] ترة ومن أضطجع مضجعا لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تِرَة) .

وروى ابن السني عن أبي آمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (من أوى الى فراشه طاهرا وذكر الله عز وجل حتى يدركه النعاس لم يتقلب ساعة من الليل يسأل الله عز وجل خيرا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه اياه) .

وروى ابن السني أيضا عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :
(إن الرجل اذا أوى الى فراشه ابتدره ملك وشيطان ، فقال الملك : اللهم اختم بخير ، فقال الشيطان : اختم بشر ، فان ذكر الله تعالى ثم نام بات يكلؤه الملك) .

الأذكار الواردة عند النوم :

وردت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أذكار كثيرة عند النوم ينبغي للانسان أن يتلوها لينام مطمئن النفس مستريح الفؤاد .

ـ منها حديث البراء بن عازب السابق وفيه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له :
(اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا [illegible] ولا منجي منك الا اليك ، آمنت [illegible] الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلم به) (متفق عليه وهذه رواية البخاري) .

- ومنها حديث حذيفة السابق وفيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) (رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . ورواه أبو داود عن حفصة وفيه أنه كان يقول ذلك ثلاثا) .

- ومنها ما رواه البخاري عن حذيفة وأبي ذر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أوى الى فراشه قال (باسمك اللهم أحيا وأموت) .

- ومنها ما روى في الصحيحين عن علي - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له ولفاطمة :

(اذا أويتما الى فراشكما - أو اذا أخذتما مضاجعكما - فكبرا ثلاثا وثلاثين ، وسبحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين) .

- ومنها ما رواه مسلموأبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أوى الى فراشه قال (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوى)

- ومن هذه الأذكار ما روى في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفضه بداخله ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، ان أمسكت نفسي فارحمها ، وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) .

- ومنها ما رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول اذا أوى الى فراشه (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والأنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر) .

- ومنها ما رواه أبو داود والنسائي باسناد صحيح عن علي - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول عند مضجعه : (اللهم اني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته - اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم - اللهم لا يهزم جندك ، سبحانك اللهم وبحمدك) .

- ومنها ما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (من قال حين يأوى الى فراشه : أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه : ثلاث مرات ، غفر الله تعالى له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ، وان كانت عدد النجوم ، وان كانت عدد رمل عالج ، وان كانت عدد

أيام الدنيا) (عالج : اسم واد كثير الرمل) .

- ومنها ما رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : يا رسول الله : مرني بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت . قال (قل : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، قلها اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أضطجعت) .

وفي هذا القدر كفاية .

فينبغي للمسلم أن يتلو من هذه الأذكار ما استطاع عند النوم ، ويستحب تلاوتها جميعا ، لكن اذا لم يستطع فليأت بما استطاع ولا حرج .

علاج الأرق في النوم :

اذا أرق الانسان في نومه ولم يستطع الأستغراق فيه تلا ما جاء في الحديثين الآتيين أو في أحدهما :

روى ابن السني عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : شكوت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرقا أصابني فقال (قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم يا حي يا قيوم : أهدىء ليلي وأنم عيني) فقلتها فأذهب الله عني ما كنت أجد .

وروى الترمذي وضعّفه ، وكذا الطبراني في الكبير والأوسط باسناد جيد : أن خالد بن الوليد شكا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرقا أصابه ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم :

(اذا أويت الى فراشك فقل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد منهم أو أن يبغي على ، عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ، أو لا إله الا أنت) .

علاج الفزع في النوم :

اذا فزع الانسان في نومه فليقل « أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » فقد روى أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يعلمهم من الفزع كلمات :

(أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) قال - أي الراوي - وكان عبدالله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه .

وروى ابن السني أن رجلا جاء الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فشكا أنه يفزع في منامه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

(اذا أويت الى فراشك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن

يحضرون) فقالها فذهب عنه .

اذا رأى في منامه ما يحب أو يكره :

اذا رأى الانسان في منامه ما يحب فليحمد الله عليها ، ولا يحدث بها الا من يحب ، لأن الحبيب ان عرف خيرا قاله وان جهل سكت .

أما اذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها وليتفل عن يساره ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه ، ولا يحدث بها أحدا لأنها لن تضره .

فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها ، وليحدث بها - وفي رواية « ولا يحدث بها الا من يحب » - واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها فانها لا تضره) .

وروى البخاري عن أبي سلمة - رضي الله عنه قال : لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة - رضي الله عنه - يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (الرؤيا الحسنة من الله ، فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدّث به الا من يحب ، واذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ، وليتفل ثلاثا ، ولا يحدث بها أحدا فانها لن تضره) .

وروى مسلم عن جابر - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه) .

اذا استيقظ من الليل وأراد النوم بعده :

اذا استيقظ الانسان من الليل وأراد النوم بعد ذلك تلا ما استطاع من الأذكار الواردة عند ابتداء النوم . وثمة أذكار أخرى ينبغي الحرص عليها . منها ما رواه البخاري عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

(من تعار (استيقظ) من الليل فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، والحمد لله ،وسبحان الله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي ، أو دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته) .

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا استيقظ من الليل قال (لا اله الا أنت سبحانك ، اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) .

استحبـاب الذكـر والـدعـاء والاستغفار في الليل :

يستحب الدعاء في الليل رجاء أن يصادف ساعة الاجابة ، فقد روى مسلم عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :
(إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله إياه ، وذلك كل ليلة) .

كذلك يستحب الذكر في جوف الليل الأخير ، فقد روى أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :
(أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الآخر ، فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن) .

كما يستحب الأستغفار في هذا الوقت فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :
(ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفـرني فأغفـر له) .

استحبـاب الأضطجاع بعـد ركعتي الفجر :

يستحب للانسان أن يضطجع على شقه الأيمن بعد أن يصلي ركعتي الفجر .

فقد روى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت « كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن » وروى مسلم من حديث عائشة « ... فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له وجاء المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن هكذا حتى يأتيه المؤذن للاقامة » .

وروى أبو داود والترمـذي وقال : حديث حسن صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :
(اذا صلى أحدكم ركعتي الفجـر فليضطجع عن يمينه)

استحباب تلاوة خواتيم آل عمران عند القيام من الليل

يستحب عند القيام من الليل تلاوة الآيات العشر الأخر من سورة آل عمران .

فقد روى البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أهله ساعة ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر الى السماء فقال (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ... الآيات) ثم قـام فتوضأ واستن ثم صلى احدى عشرة ركعة ، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم

خرج فصلى بالناس الصبح .
وروى مسلم مثله عن ابن عباس أيضا .

ذكر الله عند الأستيقاظ :

ينبغي ذكر الله تعالى عند الأستيقاظ من النوم ويكره ترك ذلك .

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقدة كلها فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا أصبح خبيث النفس كسلان) هذا لفظ البخاري (قافية الرأس : هي المؤخرة) .

الأذكار الواردة عند الأستيقاظ :

وردت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أذكار كثيرة عند الأستيقاظ .
ـ منها ما رواه البخاري عن حذيفة وأبي ذر ـ رضي الله عنهما ـ قالا : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا أوى الى فراشه قال : (باسمك اللهم أحيا وأموت) واذا استيقظ قال (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور)
ـ ومنها ما رواه أبو داود عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا هب (استيقظ) من الليل كبر عشرا وحمد عشرا وقال (سبحان الله وبحمده) عشرا وقال (سبحان القدوس) عشرا . واستغفر الله عشرا ، ثم قال (اللهم اني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة) عشرا ثم يفتتح الصلاة .
ـ ومنها ما رواه ابن السني باسناد صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :
(اذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذي رد على روحي وعافاني في جسدي وأذن لى بذكره) .
ـ ومنها ما رواه ابن السني عن أبي هريرة أيضا قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :
(ما من رجل ينتبه من نومه فيقول : الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة ، الحمد لله الذي بعثني سالما سويا ، أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ؛ الا قال تعالى : صدق عبدي) .

وهكذا يستقبل الانسان يومه مزودا بتقوى الله ، مطمئنة نفسه ، مستريحا فؤاده .

والله نسأل أن يوفقنا للصدق في القول والعمل

والى لقاء مع هدى نبوي كريم .

مائدة القارئ

الظل والفيء

في كتاب ادب الكاتب : يذهب الناس إلى ان الظل والفيء واحد ، وليس كذلك ، لأن الظل يكون من اول النهار إلى آخره ، ومعنى الظل الستر ، والفيء لا يكون إلا بعد الزوال ، ولا يقال لما كان قبل الزوال فيء ، وإنما سمي فيئا لأنه ظل فاء من جانب إلى جانب ، أي رجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق ، والفيء : الرجوع ، قال تعالى « حتى تفيء إلى امر الله » اي ترجع .

الصابر والشاكر

نظرت امرأة في المرآة وكانت حسنة الصورة وكان زوجها دميم الهيئة ، فقالت له - والمرآة في يدها - إني لأرجو أن ندخل الجنة انا وانت . فقال : وكيف ذلك ؟ فقالت : أما انا فلأني ابتليت بك فصبرت ، وأما انت فلأن الله تعالى قد انعم عليك بي فشكرت . والصابر والشاكر في الجنة .

سبحانك

قالت اعرابية : سبحانك ما اشق الطريق على من لم تكن دليله ، واوحشه على من لم تكن انيسه .

ذات معنى

قال حكيم : عشيرتك : من احسن عشرتك ، وعمك : من عمك خيره ، وقريبك : من قرب منك نفعه

الإخلاص لله

قال تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين . وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم »
١٠٦ و ١٠٧ من سورة يونس

تحذير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعدى كفارا . يضرب بعضكم وجوه بعض ».

موعظة

قال الحسن البصري لرجل حضر جنازة : أتراه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالحا ؟ قال : نعم . قال : فإن لم يكن هو فكن أنت .

إلى العمل

قال حكيم لرجل يستكثر من العلم ولا يعمل به : يا هذا ، إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح فمتى تقاتل ؟

هكذا الحال

قال الشاعر :

أرى الناس في الدنيا كراعٍ تنكرت
مراعيه حتى ليس فيهن مرتع
فماء بلا مرعى ومرعى بغير ماء
وحيث ترى ماءً ومرعى فمسبع

حياء من الله

حج هشام بن عبد الملك ـ وهو خليفة ـ فدخل الكعبة ، فرأى فيها سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم ـ فقال الخليفة : يا سالم ، سلنى حاجة . فقال سالم : إنى لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره . فلما خرج سالم من الكعبة خرج هشام في إثره ، وقال له : الآن خرجت من بيت الله ، فسلني حاجة .

فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال هشام : من حوائج الدنيا .

فقال سالم : إني ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألها من لايملكها !!

المصالح المرسلة في فقه الإمام مالك

للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

تشتمل أصول الشريعة الاسلامية السمحة على أدلة فقهية متنوعة ، دل عليها أجتهاد الفقهاء ، وفقه العلماء .. مما جعلها مصدرا من مصادر الأحكام الشرعية العملية .. بالاضافة الى الموارد الأربعة المتفق عليها بين الأئمة الأربعة وهي : الكتاب والسنة والاجماع والقياس .. فهناك : الأستحسان والاستصحاب وسد الذرائع والبراءة الأصلية ، والمصالح المرسلة ، والأستدلال الشامل لشرع من قبلنا ، والتلازم ووجود السبب ، ووجود المانع ، وفقدان الشرط .. وكلها تعطيك صورة واضحة الملامح لحيوية التشريع الاسلامي ، وملاءمته للزمان والمكان ، ومرونته الذاتية ، وقابليته للتطور والمسايرة لما يجد في الحياة من حوادث لم يسبق بها الزمان ، ولم يسمع بها الأئمة الأعلام فيما مضى من الأوان .. وسنعرض اليوم لدليل المصالح المرسلة .. لأنها في فقه الامام مالك رضي الله عنه تحتل جانبا كبيرا .. بل إن غير المالكية قد لجأوا اليها من حيث دروا .. ومن حيث لم يدروا .. وذلك مثل إمام الحرمين والغزالي

وهما غير مالكية .. فالأول له كتاب « الغياثي » والثاني له كتاب « شفاء الغليل » وكلاهما مشحون بأحكام شرعية من وحي المصالح .. مع أنهم عابوا على المالكية استكثارهم من القول بالمصالح المرسلة ..

.. والمصالح المرسلة .. أي المطلقة من نص معين في القرآن والسنة باعتبارها .. أو بالغائها .. ولذا سميت مرسلة .. أي متروكة بلا إذن فيها .. وبلا منع عنها .. ولكن تشهد لها أصول عامة وقواعد كلية منثورة ضمن الشريعة بحيث تمثل هذه المصلحة الخاصة واحدة من جزئيات هذه الأصول والقواعد العامة .. وهي لون من ألوان النظر الذي هو باب من أبواب الأجتهاد الملائم لقواعد الشريعة ، وقد قرر الشاطبي في الموافقات جـ ٢/٣٤٢ أن كل ما أحدثه السلف الصالح إنما هو من هذا القبيل .. لا يتخلف عنه بوجه .. وليس من المخالف لمقصد الشريعة أصلا ، لما روى أحمد والبزار موقوفا : (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) .. ولحديث « إن أمتي لا تجتمع على ضلالة » رواه ابن ماجه .

فثبت أن هذا المجمع عليه موافق لقصد الشارع ، وسماه في الأعتصام جـ ٢/١١٣ : المعنى المناسب الذي يرتبط به الحكم ، وسكتت عنه الشواهد الخاصة فلم تشهد لا بأعتباره ، ولا بالغائه ، ولكنه ملائم لتصرفات الشرع .. من حيث إنه يوجد معناه في جنس عام أعتبره الشارع في الجملة بغير دليل معين وقد ضرب له عشرة أمثلة منها :

(١) أتفاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمع المصحف وكتابته على الصورة التي وصل الينا من غير نص سابق معين على جمعه وكتابته .. بل إن بعض الصحابة اعترض بادىء ذي بدء وقال : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقد حدث ذلك مرتين : مرة باشارة أبي بكر استماعا لمشورة عمر .. فجمع زيد بن ثابت رضي الله عنه القرآن كله من الرقاع والعسب (جريد النخل) واللخاف (حجارة بيض رقاق) ومن صدور الرجال وسميت هذه الجمعة (الصحف) ووضعت عند أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ، والثانية : جمعها أيضا زيد بن ثابت مع ثلاثة من قريش هم : عبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاصي ، وعبدالرحمن إبن الحارث بن هشام بأمر من عثمان رضي الله عنه ، وأمرهم عند الخلاف أن يحكموا لغة قريش لأنه نزل بلسانهم ، وذلك حينما .. استشعر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قائد جيوش الاسلام في فتح أرمينية وأذربيجان الخوف على القرآن ، وكان يغازي أهل الشام وأهل العراق .. فسمع اختلافهم في القران ، وقول بعضهم

لبعض : قرآني خير من قرآنك .. فذهب لعثمان وقال له : يا أمير المؤمنين . أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب .. كما أختلفت اليهود والنصارى » فأرسل عثمان الى حفصة رضي الله عنهما : أرسلي الى بالصحف ننسخها في المصاحف .. ثم نردها اليك .. فنسخت ثم بعث عثمان الى كل أفق من آفاق البلدان المفتوحة بمصحف من تلك المصاحف .. ثم أمر بما سوى ذلك ، يحرق كل صحيفة أو مصحف غير هذا المصحف الأخير ولم يخالف في ذلك الا ابن مسعود رضي الله عنه .. ومعروف في أصول الفقه أن خلاف واحد أو أثنين لا يقدح في صحة الاجماع على الراجح .. هذا عمل لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة لكن الصحابة رضوان الله عليهم رأوا فيه مصلحة محققة لحماية مصدر الاسلام الأول ، من الصدع والتشقق .. مع ما يتبع ذلك من تمزق الأمة ، وتعدد فرقها كما حدث في الأمم السابقة وهو ما نهى عنه القرآن عموما في قوله تعالى : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) الأنعام / ١٥٩ . فهي مصلحة تناسب الشرع قطعا ، وهذا العمل له ما يشفع له .. فقد كتب القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا غير مجموع ولا مرتب .

(٢) اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد شارب الخمر ثمانين جلدة .. ومستندهم في ذلك هذه المصالح المرسلة التي لم يرد في خصوصها نص معين ، ولا رأي محدد .. إذ لم يكن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حد مقدر لا بأربعين ولا بثمانين .. وإنما كان الأمر أشبه بالتعزير والتأديب حسبما يرى الحاكم .. فلما آل الأمر الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه نظر في الأمر حتى جعل الحد أربعين جلدة لكل شارب .. ولكن الناس استهانوا بهذا التقدير ، وهان عليهم احتماله .. واندفعوا غير مبالين .. لأنه في طوق الأحتمال .. الى أن أنتهى الأمر الى عثمان بن عفان رضي الله عنه . فجمع الصحابة .. بعد أن هاله ما رأى من اندفاع الناس ، وترديهم في هذا الداء العياء ، واستشارهم .. فمما قيل .. ما روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : من سكر هذى ، ومن هذى افترى .. فأرى عليه حد المفترى (أي حد القذف وهو ثمانون جلدة) فأخذوا بهذا الرأي بدافع المصلحة التي تلائم مقاصد الشرع ، وتستهدف أغراضه العليا .. من دون أن يكون فيها نص معين ، وانعقد بذلك الاجماع ، لأن أحكام الشريعة الكلية تتضمن ، هذا فقد أقيمت الأسباب مقام المسببات ، والمظنة مقام التحقق ، فمثلا : جعل الايلاج كالانزال في وجوب الغسل ، وجعل حافر البئر كالمعتدي بالنسبة لمن ألقى بنفسه

في البئر ، وحرمت الخلوة بالأجنبية حتى لا تصير ذريعة الى الفساد .. وهنا كذلك رأوا أن الشرب ذريعة الى الأفتراء الذي تقتضيه كثرة الهذيان ، فانه أول مبادرات الشارب ، وهو يدل على إسناد الأحكام الشرعية الى المعاني الكلية .. اذا لم يوجد أصل معين .

(٣) أتفق الصحابة كذلك على تضمين الصناع حيث قال علي كرم الله وجهه : « لا يصلح الناس الا ذاك » ووجه المصلحة هنا : حاجة الناس الى الصناع ، ومشقة الأستغناء عن الصناعة بالكلية .. مع عدم الاحتياط الكامل للحفظ من جانب الصناع نظرا لكثرة أعمالهم وتعرضهم لأختلاط الغير بهم .. وهذا يؤدي الى التراخي والتفريط في وسائل الحفظ اللازمة .. فلو لم نضمنهم ثمن ما ضيعوه ، وما أتلفوه .. لأدى ذلك الى فتح أبواب أخرى للاضاعة والاتلاف كالخيانة والمغالطة وغير ذلك .. وهذا وإن كان فيه مفسدة من جهة أن الصانع قد يكون بريئا ، وقد يتلف المال عنده على الرغم منه ، الا أنا نعتبر هذه المفسدة في مقابل مصلحة أخرى راجحة عليها .. وهي أن الغالب في ضياع الأموال ليس التلف السماوي .. وإنما التفريط الانساني .. وما من أمر من الأمور التي تعرض لها الأحكام الا وفيه مفسدة من جانب ومصلحة من جانب ، والعبرة بالراجح منهما في نظر المجتهد الذي له دربة ومران على المقارنة ، والترجيح .. وفي الحديث الشريف : (لا ضرر ولا ضرار) وفيه النهي عن تلقي الركبان بالبيع حتى يهبط البائعون بسلعهم في الأسواق منعا للاحتكار الذي يعم ضرره في مقابلة الربح الخاص بمن يتلقى الركبان .

(٤) اختلفوا في جواز ضرب المتهم وسجنه بلا بينة لحمله على الاقرار .. أو إزالة الغموض في التهمة الموجهة اليه .. فالشافعي لا يقول بذلك لما فيه من فتح باب تعذيب البرىء ، ولأن إقراره في هذه الحال لا يقبل لأنه مكره عليه ، والاكراه يزيل الأختيار وهو شرط لقبول الاقرار .. ولكن مالكا رضي الله عنه جريا على نظرته في المصالح المرسلة يرى أن هذه المفسدة تقابلها مفسدة أشد ، وهي تعذر استخلاص الأموال من أيدي مغتصبيها ، لأن البينة قد لا تتيسر ، مع وجود قرائن مريبة تلقي ظلالا من التهمة على المتهم .. إذ لا يعقل عادة أن تشير أصابع الأتهام لأي رجل أو لأية امرأة بدون سابق ريبة .. أو لمجرد الدعوى .. بل لابد من اقتران قرينة تحيك في النفس ، وتحدث في القلب نوعا من الشك نحو شخص بعينه .. فغالبا لا يصادف التعذيب والضرب والحبس بريئا .. ، وإن أمكن ذلك فهو مغتفر .. لأن العبرة بأغلب الأحوال .. فكانت المصلحة في التعذيب وسيلة الى التحصيل والاقرار .

الحجاب فرضيته ودفع الشبهات عنه

للأستاذ : طارق محمد الحسيني سرحان

مع انبلاج فجر الصحوة الاسلامية المباركة اشتغل الناس اكثر ما اشتغلوا باصلاح أنفسهم وتصويب أفعالهم وترشيد عاداتهم وأنماط حياتهم لتصبح موافقة لدين الله القويم كما جاء بكتابه الحكيم وسنة رسوله الكريم وقد كان طبيعيا أن تنضح هذه الشحنة الايمانية التي ملأت القلوب لدرجة لم يعد معها كتمانها محتملا فظهر نورها على سمات الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه كما علت هذه الانوار الايمانية ـ التي ظلت طيلة ما يربو على نصف قرن خلت حبيسة الصدور ـ غرر الحرائر من نساء المؤمنين فاذا هن قد اختمرن وتحجبن ، بل سارعت كثيرات منهن وقد غلبتهن قوة ايمانهن وشدة حيائهن فانتقبن غير عابئات ولا مكترثات بما يشن عليهن من حملات للتشهير بهن حقدا عليهن من أخريات سافرات جحدن دين الله وكرهته أنفسهن فياويلهن ما لم يتبن ويتوبَ الله عليهن .

وقضية حجاب المرأة ومحاربة سفورها تعتبر من القضايا الهامة بل والرئيسية التي إن نجح الدعاة في كسبها فانهم يكونون قد ساهموا بطريقة ايجابية في سد أبواب غواية وفتنة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفتك الفتن ألا وهي فتنة النساء . كما أن الدعاة بنجاحهم هذا يصلون الى السيطرة على أهم عوامل إفساد مجهوداتهم في نواحي الدعوة الأخرى التي خارت فيها عزائمهم من كثرة ما قد بحت حناجرهم مع أناس قد تسبب السفور والتبرج في زيغ أبصارهم وتغليف قلوبهم بران استحال معه أن يكون في قلوبهم طاقة وشحنة ايمانية تقودهم إلى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وسائر العبادات ناهيك عن الجهاد الذي ماتت حميته في القلوب وسئمت من سيرته النفوس وقد ساهم كل ذلك بطريقة فعالة في جرويلات كثيرة دمرت مجتمعاتنا خلقيا وأوشكت معها العقيدة أن تجتث اجتثاثا .

ان العمل على نشر الحجاب لمن أهم المسائل التي يجب التركيز عليها لكي نصل بالمسلمين الى المجتمع الاسلامي في مظهره وجوهره ، وهو المجتمع الفاضل . الذي تبدو فيه الفضيلة وتختفي فيه الرذيلة ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر .

فالحجاب من المظاهر الايمانية للمجتمعات الاسلامية الفاضلة . وهو من الظواهر الصحية التي تدل على سلامة العقيدة وقوة الايمان بالله واليوم الآخر والخوف من النار والطمع في رحمة الله والفوز بالجنة . وعلى العكس من ذلك تماما نجد أن السفور والتبرج انحلال وانحطاط ما بعده انحطاط وهو من الظواهر المرضية التي تدل - بالجملة - على فساد العقيدة وضعف الايمان بل وتنم - بالاصرار والتحدي - على تعمد مبارزة الله بالعظائم من الذنوب وتحدي ارادة الله في بلاد الاسلام وربما عدم يقين بالله واليوم الآخر والاستهتار بوعيد الله ووعده وربما الكفر في بعض حالات انكار فرضية الحجاب من الله ورسوله بعد العلم بفرضيته . ولنا أن نتخيل مجتمعا مريضا كهذا قد نم مظهره على قبح جوهره ! فأنى لمجهود الدعاة في الدعوة الى الصلاة والصيام والحج - ناهيك عن الجهاد المقدس - أن يثمر في رجاله ؟؟ !!

وأنى للتقوى أن تزدحم بها صدور المسلمين وقد ساهمت هذه المظاهر القبيحة بكل ما تحمله من معاني التبجح ومعاداة الله ورسوله في انهزام القوى الايمانية النورانية التي فطر الله عليها سائر خلقه ؟؟

لقد ساهمت كل هذه العوامل في دخول الوهن قلوب الرجال المخنثين فاستحبوا الدنيا على الآخرة واستحبوا العمى على الهدى !! فياويلهم ! وانني بيقين لا أكون متجنيا على النساء اذا أرجعت كل ما أدى الى تمزق الأمة الاسلامية ووهنها الى التبرج والسفور . واذا كان ذلك كذلك فلا عودة الى العزة والكرامة والنصر على الأعداء ، الا على أيدي رجال قد اشتد عزمهم وقوى ايمانهم بالله في مجتمع فاضل كريم سليم خال من كل ما يسبب خور العزائم وفتور القوى وانعدام الرجولة .

التعريف بالحجاب :

الحجاب لغة هو : الستر ويقال حجب الشيء بالشيء أي ستره فلم يظهر منه أي جزء . فمثلا يقال : حجبت السحب قرص الشمس . أي اختفت الشمس تماما فهي محتجبة . أما شرعا : فهو اللباس الذي تستر به المرأة جسدها كله ما عدا وجهها وكفيها وكذا ابتعادها عن مخالطة الرجال .

وأدلة ذلك ما روى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله لأسماء : « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا . وأشار الى وجهه وكفيه » رواه أبو داود .

وعن ابتعاد المرأة واحتجابها عن مخالطة الرجال فدليله ما روى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة ، قالت : فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا ـ بضم الألف ـ بالحجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احتجبا منه » فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟ » أخرجه أبو داود والترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

والمرأة في الاسلام باجماع الفقهاء جسدها كله عورة ، وما فرض الحجاب في القرآن والسنة الا لستر هذه العورة وقمع الفتنة وسد أبواب الغواية وقطع دابر الشيطان وتزكية النفوس .

وقد قال الله عز وجل : **(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)** النور / ٣١ .

فأين المرأة الآن من حدود الله ؟؟ إنها قد انفلت زمامها وانقلب أمرها رأسا على عقب ، فلا تراها أمام من أباح الله لها إبداء زينتها لهم بغير حرج إلا في ثياب مسدلة على جسدها قبيحة في مظهرها نتنة رائحتها ! حتى إذا ما عزمت على الخروج اجتهدت في التزين وتصفيف الشعور وابراز النهود والأرداف وكشف السواعد والسيقان والتعطر وتغيير الخلقة بالمساحيق !! كل ذلك لأنها ستخرج على من حرم الله عليهم مشاهدتها !! فأي عصيان لله بعد ذلك ؟؟ وأي انسلاخ من ربقة الاسلام يفوق هذا العبث بمشاعر الرجال وتحدي ارادة الله ومبارزة ما دعى اليه من فضائل بهذا القبح البين والسلوك الشيطاني !! ؟؟ .

وفي آية الحجاب الثانية يقول الله تبارك وتعالى : **(يا أيها النبي قل**

لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) الاحزاب / ٥٩ .

ومعنى ضرب الخمار في آية سورة النور تغطية الرأس والعنق وفتحة الصدر كما أن الجلابيب لابد أن تكون دانية على جسد المرأة كله بما يستره كله .

وبامعان النظر في الآيتين الكريمتين نجد الخطاب فيهما (للمؤمنات ونساء النبي وبناته ونساء المؤمنين) لذلك كان الأمر بالحجاب مبنيا على عقيدة وايمان . وهذه نقطة في غاية الأهمية إذ الأصل في العمل الاعتقاد .

ان ايمان المرأة بالله واليوم الآخر هو الأساس الذي ينبنى عليه مطالبتها بالحجاب . ومن ثم فانك ترى صحيحات الاسلام يسارعن في لبس الحجاب بينما ناقصات الايمان يتباطأن ويسقن الحجج الواهية .

ولو أيقنت هذه الرافضة للحجاب أنها لا تدخل الجنة ولا تجد ريحها ، ولو علمت علم اليقين أن سفورها سيقودها الى نار حرها لظى ، نزاعة للشوى ، تدعو من غلبها الشيطان والهوى ، لأسرعت مهرولة تمزق ملابس التبرج والسفور لتستبدل بها ملابس العفة والاحتشام طاعة لله ورسوله خوفا من الجحيم وطمعا في جنة النعيم .

في صفة الحجاب وشروطه :

لكي تمتنع الفتنة بارتداء النساء للحجاب لابد أن تكون الثياب فضفاضة غير ضيقة حتى لا تبرز عضلات جسمها ، كما يجب أن يكون لباس الحجاب من القماش السميك الذي لا يشف ما تحته من ملابس داخلية ، فلو كانت ملابس المرأة شفافة « من النايلون والشيفون » فان المرأة لا تزال سافرة ولو غطى الثوب بدنها كله وكان فضفاضا . وهى بهذه المراوغة تخادع الله والذين آمنوا وما تخدع الا نفسها ، ومن ثم لا تفلت من عذاب الله الاليم ولن تدخل الجنة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار من أمتي لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، ورجال معهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها عباد الله » رواه مسلم .

ثم لندقق ونمعن النظر ونعمل كل عقولنا في قوله عليه الصلاة والسلام : « من أمتي » يعنى مسلمات بل مصليات صائمات بل وحاجات ومزكيات متصدقات ، لكنهن من أهل النار لسفورهن وتبرجهن وتعمدهن فتنة الرجال والهائهم عن عبادة الله والجهاد في سبيله . وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « كاسيات عاريات » بأن المرأة تكتسي ما لا يسترها فهى كاسية وفي الحقيقة عارية ، مثل من تكتسي الثوب الذي يصف بشرتها أو يبدي تقاطيع جسدها .

ومن صفات الحجاب الصحيح وشروطه فضلا عما تقدم ألا يكون مزركشا ألوانه معصفرة « فاقعة » تجذب الأنظار . كما يجب ألا يكون مطيبا « معطرا »

وقد روى عن أبي موسى الأشعري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية » رواه أحمد والنسائي والحاكم وفي رواية حتى تعود وتغتسل . وفي رواية فهى ملعونة . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » رواه مسلم وأحمد . واذا كان التشديد في الأحاديث الشريفة قد خص مريدة المسجد !! فكيف بالمائلات اللواتي يرتدن الاسواق أو يذهبن الى العمل ، وقد بالغن في التعطر الشذي الذي تفوح رائحته لمسيرة عشرات الأمتار !!

وأخيرا يجب ألا يشبه الحجاب لباس الكافرات مثل ارتداء المرأة البنطلون أو البدلة ولو كان البدن قد تغطى كله وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه أبو داود والطبراني .

رد شبهات أعداء الحجاب :

لما كان الحجاب مظهرا إيمانيا لمجتمع مسلم ذي عقيدة راسخة فقد كان طبيعيا أن تثور حوله الشبهات وتروج ضده الشائعات التي يحيكها أعداء الاسلام من خارجه وهم معروفون ، ومن داخله وهم كثيرون !! فلا أقل من ٧٠٪ من المسلمين بالانتماء لا يعرفون عن الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه وهم يمثلون عددا كبيرا فيما بينهم يشكل خطرا داهما على العقيدة الاسلامية ، انهم الملحدون والشيوعيون والبهائيون والماسونيون والعلمانيون ، الذين يدعـون الاسلام لمجرد الانتماء !! فلا غرابة اذن أن يشن هؤلاء حملة هوجاء حمقاء ضد العفيفات الطاهرات القانتات لله والملتزمات بالحجاب . ولا عجب أن يشهر بهن حقدا عليهن من السافرات المتبرجات .. من ذلك مثلا زعم السافرات أنهن رغم سفورهن فهن عفيفات شريفات أخلاقهن سامية وثقتهن في أنفسهن تجعلهن في غنى عن لبس الحجاب الذي تتخذه المحجبات ستارا لفجورهن !!

وهذه شبهة من أفتك الشبهات التي يروج لها أعداء الاسلام من الكفار والمنافقين لاضعاف عزيمة الاخوات المحجبات لعلهن يرتددن الى السفور والتبرج ، هذا من ناحية . ومحاولة غرس روح الكراهية لدين الله وللحجاب في نفوس الناشئة ولصرف الفتيات اللاتي يردن التحجب الى السفور والانحلال الخلقي والاباحية الجنسية والشيوعية والالحاد من ناحية أخرى .

وأود أن أسترعى انتباه القارىء الفطن الى أن ادعاء السافرات بأنهن عفيفات هو في حقيقته ادعاء متناقض مع طبيعة السفور ، فالسفور لغة معناه : الكشف ، يقال سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها فهى سافر . والمعنى المرادف للسفور « التبرج » وهو اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وقد عده معظم الفقهاء من أعظم الكبائر بعد الشرك بالله . أما العفة فمعناها : الاستعلاء والترفع عن الدنايا والخسة ومجاهدة النفس لحملها على ما يسمو بها على نزواتها . فيقال

امرأة عفيفة عفة اذا هي ترفعت وسمت عن عرض نفسها على الرجال للزواج اذا مات عنها زوجها مثلا . وكذلك الحال اذا عفت الفتاة عن طلب الزواج . وهذا هو ما أفهمه ويفهمه كل الناس وتفهمه السافرات عن العفة .

واذا كان ذلك كذلك . ففي أيهما العفة حقا ؟؟ في ملابس تستر جسد المرأة وتحجب كل مفاتنها عن أعين الرجال لتكون عالية سامية ؟؟ أم في عرض هذه المفاتن غثة رخيصة يراها العلي والوضيع والخلوق والصعلوك ؟؟ ثم أين العفة في تعمد السافرات عرض السيقان والقوام والنهود والأرداف والشعر ؟؟ !! أم أن السافرات يقصدن بالعفة التعالي على صنف من الرجال دون الآخر ؟ فهن مترفعات على الفقير طالبات ـ بعرض أجسادهن ـ لفتى الاحلام ؟؟ ثم المرأة وقد تزوجت بل وأنجبت فلمن تعرض مفاتنها ؟؟ ولماذا ؟؟ !! أين العفة ؟؟ في أي شيء من أجسادهن بقيت عفتهن ؟؟ انني أرى فن التبرج والسفور بكل ما يعنيه من كشف واظهار للمحاسن والمفاتن أمام الرجال ـ سواء عن قصد أو غير قصد ـ خسة وضعة . وانعدام عفة .

وما تدعيه السافرات بأنهن على درجة عالية من الاخلاق رغم سفورهن فمردود عليه بأن العفة من الخلق . والحياء من الايمان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء والايمان قرنا جميعا ، فاذا رفع أحدهما رفع الآخر » رواه الحاكم والبيهقي .

فاذا انعدم الحياء انعدم الايمان واذا انعدمت العفة انعدم الخلق أو ربما انحط ولم ينعدم ! وحتى اذا بقي شيء من الخلق لدى السافرات فما الذي يمنع من اكتمال الخلق بارتداء الحجاب ؟؟

أما الزعم بأن كثيرات من المحجبات يستترن وراء الحجاب لاخفاء حقيقة أمرهن ، فمردود عليه ـ بأن التحجب مظهر اسلامي اجتماعي ، وسلوك فردي عقائدي قائم على عقيدة إيمانية . ونود التأكيد على أن الدعوة الى الحجاب ليست عصا سحرية يعول عليها في انهاء كل نواحي الفساد والفجور اذ التبرج أحد المظاهر الاجتماعية ذات المسلك الفردي التي لا يملك الداعية ـ في ظل حكم غير اسلامي ـ مواجهتها الا من زاوية فردية ليصل بها شيئا فشيئا الى مظهر اسلامي جماعي . وان سقطت امرأة محجبة في زلة فانا نحمد لها ـ وقد سترها الله ـ أن كان وزرها على نفسها فقط ، وقد كان في امكانها هي بذاتها أن تقترف وزرها من غير حجابها لو ظلت على سفورها ، ولكنها بحجابها قد سلم منها المظهر الاسلامي الاجتماعي ما بقيت في ستر الله عليها . وهي ليست بقبح زلتها المستورة قدحا في الحجاب كسلوك فردي عقائدي ولا كمظهر اجتماعي اسلامي .

وأخيرا زعم مدعو التقدمية أن الحجاب لا يناسب ظروف العصر ، ويلومون عليه أن كان عائقا للمرأة عن مواكبة التقدم الحضاري !! ونحن نقول لهؤلاء

الشياطين اتركوا المرأة لتكون أمة لله ولتتحرر من عبوديتها لنزواتكم ، ولتنطلق من ربقة أسركم لها ألعوبة تصلون بها الى شيوعيتكم والحادكم . وهى ان صارت أمة لله حرة بين الناس فان ثمن حريتها هو التزامها بمنهج الله كما أمرها الله ورسوله . وليست مواكبة التقدم الحضاري أيها المارقون عن دينكم ثمنا كافيا لتفتدى به المرأة عذاب الجحيم وخسرانها جنة النعيم .

ثم بالله نسأل في دهشة : أي تقدم حضاري هذا الذي يستوجب من المرأة كشف ساقيها لكي تواكبه ؟؟ !! وأي عمل هذا الذي يتعطل وتقل فيه كفاءة وفعالية المحجبات بسبب حجابهن لا غير ؟؟ !! لقد رأيناهن بين الطبيبات والمدرسات والعاملات الناجحات . وكلنا يعلم بأن الحجاب ساد مجتمعات اسلامية ذات حضارة يشهد التاريخ أنها سحقت امبراطوريتي الروم والفرس على سفور نسائهم ودعارتهن ، كما ويشهد التاريخ بانهيار حضارات ما قبل الميلاد بسبب المجون والرقاعة وخلاعة النساء !! أليس كذلك ؟؟ فأين التقدمية اذن ؟؟ !

من المسئول أمام الله ؟ :

يظن الكثيرون عند طرح قضية الحجاب أن المسئول بين يدي الله عن عرى النساء وسفور المجتمع هو الحاكم الذي بيده امكانية تعزير كل خارج عن دين الله ، وان كان هذا الظن في محله لمسئولية الحاكم عن رعيته أمام الله فان تراخيه وتهاونه في مسئوليته لا يعفى الرعية بدورهم من المسئولية أمام الله . فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته .. الخ » متفق عليه .

والذين يلقون بالتبعية على الحكام سيكونون ممن قال الله فيهم : (**يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا**) الأحزاب / ٦٦ ـ ٦٨ .

فالرجل مسئول عن زوجته وابنته ، وليس مسئولا عن الحاكم ، والحاكم مسئول عن الرعية كلها . وقد تبين من حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسماء أن الحجاب مفروض على البنت متى بلغت المحيض ، وفي ذلك رد على ما يروجه السفهاء من الناس بتأجيل الحجاب لما بعد زواج البنت .

وقد أعطى الله حق القوامة للرجل ليكون قيما على بيته بما أمر الله ورسوله .وقد اعطاه الله حق الموعظة ثم هجر الزوجة الناشز ثم الضرب . ثم أخيرا وان كان الطلاق بغيضا الى الله فان الكفر أبغض ، و للرجل اذا أيس من زوجته التي تحادد الله ورسوله وتصر على سفورها بعد نصحها وهجرها وضربها لعام

كامل مثلا أن يلجأ الى الطلاق ، لأنه قد أصبح أمام امرأة ناشز عن طاعته في الله ، قد آثرت هوى نفسها على دين الله ، وأصرت بعناد على سفورها واستكبرت عن آيات الله بعد امهالها وهي بذلك تكون قد ارتضت لنفسها التمرد على دين الله .

أما أن يتراخى الزوج أو الأب في قوامته على زوجته وابنته بدين الله فانه يكون بتراخيه وتهاونه قد عطل حقا خوله الله اياه ليكون رجلا ، لا ليكون عاصيا أو فاسقا بارتضائه ما يستوجب غضب الله وسخطه . فياويله اذا لم ينصح أهله وذويه لله .. ويا ويله اذا لم يغر على عرضه وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة » أخرجه البخاري وليقرأ هذا الحديث الشريف بعين الخشية والاعتبار أزواج حاربوا زوجاتهم اللاتي يردن الالتزام بالحجاب !! وقد سمعنا كثيرا عن خلافات بين زوج يأمر أهله بالتبرج والسفور !! وهم يرغبون في طاعة الله !! وقد انتهت بعض هذه الحالات بالطلاق !! واذا كان ذلك كذلك ؟ أفلا يكون الرجل رجلا ؟ وهلا يسرع الرجال بتحمل مسئولياتهم قبل أن يقفوا بين يدي الله وما لهم من حميم ولا شفيع يطاع ؟؟

وبعد ...

فهذا هو القول الفصل في قضية الحجاب ، وماذاك الا لأنه مأمور به من الله ورسوله : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) الأحزاب / ٣٦ .

فشيمة المؤمن والمؤمنة السمع والطاعة لله ورسوله بلا جدال بالباطل ، انما الجدال بالباطل صفة من صفات المنافقين والكافرين : (**ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا**) غافر / ٤ .

ولا يكون النقاش بقصد التعجيز في آيات الله ، ولكن بقصد استجلاء الحقيقة ودفع الشبهات . والله سبحانه وتعالى يقول : (**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا و أطعنا و أولئك هم المفلحون**) النور / ٥١ .

وليتذكر كل من يريد التوبة أن ما من ذنب ـ وان عظم ـ الا وله توبة . والله سبحانه وتعالى يقول : (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) الزمر / ٥٣ .
ألا هل بلغت اللهم فاشهد واكتبني مع الشاهدين .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

الخوارزمي

للأستاذ / منذر شعار

يحمل لقب الخوارزمي أكثر من علم في تاريخنا ، ولكن أجلّهم قدرا عند الغربيين هو « محمد بن موسى » أبو عبد الله ، الخوارزمي ، العالم الفلكي والرياضي الذي كان منقطعا إلى خزانة الحكمة ببغداد أيام الخليفة المأمون ، وتوفي ما بين سنتي ٢٢٠ و ٢٣٠ للهجرة ، حسب رأي (سوتر H. Suter ، وبعد سنة ٢٣٢ حسب رأي (نللينو Nallino فهو قد عاش - على هذا - الى ما بعد خلافة الواثق بالله ، ويرجح علماء الغرب أنه اشترك في حساب ميل الشمس ، ومحيط الأرض ، اللذين أجريا في عهد المأمون ، وهذا يعطي فكرة أن الخوارزمي بدأ حياته عالما من علماء الهيأة :

وعلم الهيأة : **هو علم يبحث عن احوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية من حيث الكمية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها ، ويبحث في أعداد الأفلاك ومقادير الأجرام والأبعاد ، وفي اليوم و أجزائه ، وفي الأجسام الفلكية ولونها وضوئها وقربها وبعدها ، وحيلولة الأرض بين النيرين ، (فهو علم الفلك) .** وقال ابن النديم في الفهرست عنه : « وكان

مُعلّم أوروبا الحساب

الناس قبل الرصد وبعده ـ يعولون على زيجيه الأول والثاني ويعرفان بالسند هند ».

وعلم الفلك هذا يحتاج إلى بصر أي بصر بـالحساب ، وكـل فلكي فهو رياضي ، ولكن الخوارزمي أبا عبد الله برع براعة هائلة في الحساب فأتى بما يستفيد منه العالم كله من زمنه . إلى هذا اليوم .

وإن أغلب كتب الخوارزمي مفقودة بالعربية ، موجود بعضها باللاتينية ، فـان الخوارزمي من الـذين شُدِه بعلمهم الأوربيون ، فتلقفوا كتبه ، ونشروها ، ودرسوها ، واعتنقوا ما فيهـا ، وإن أكثر مـا نعرفـه عن الخـوارزمي ، نحن قـومــه ، وعن رياضياته وفلكه إنما هو عن طريقهم .

وقـد عـدد كـل من تـرجمـوا للخوارزمي من المسلمين كتبه التي ألّفها ، كابن النديم في (الفهرست) وحاجي زادة في (كشف الظنون) ، والقفطي في (إخبار العلماء بأخبار الحكمـاء وقد اختصـره الزوزني ، وسمي المختصر (تاريخ الحكماء) وطبعه في ليـبزيغ .

وهذه الكتب هي :

١ ـ كتاب التاريخ ، فلذلك يَعُدّ العلماء الخوارزمي مؤرخا ، وذكر هذا الكتاب المسعودي في (مروج الذهب) وقال إنه من مصادره .

٢ ـ الجبر و المقابلة .

٣ ـ الزيج ، جزءان . وهو فرع من الفلك ، وهو أحوال حركات الكواكب ، من كسوف وخسوف وظهور وخروج واختفاء .

٤ ـ كتاب الرخامة

٥ ـ كتـاب العمـل بـالاسطـرلاب

والاسطرلاب : كلمة يونانية الأصل ؛ اطلقت على عدة آلات فلكية تنحصر في ثلاثة أنواع رئيسية بحسب ما إذا كانت تمثل مسقط الكرة السماوية على سطح مستو ، أو مسقط هذا المسقط على خط مستقيم ، أو الكرة ذاتها بلا أي مسقط ، ويستفاد منه في الرصد ، ويعلم به إرتفاع نجم ما ، ومقدار ما انقضى من ساعات النهار والليل ،

ويمهد إلى حل جميع مسائل علم الفلك ، وقد زاد عليه العرب ، ولا سيما العالم الأندلسي : الزرقالي ، ونصير الدين الطوسي حتى قيل (الاسطرلاب الطوسي) . « عن كشاف اصطلاحات الفنون »

٦ ـ كتاب عمل الاسطرلاب

٧ ـ المجسطي وهي كلمة يونانية معناها الترتيب ، اطلقها الفلكي اليوناني (بطليموس الفلوزي على كتاب ألفه في الفلك يعد الأم في هذا العلم ، ومنه استخرجت سائر الكتب عَرّبه حنين بن اسحق وحرره ثابت بن قرة ـ تلميذ الخوارزمي ـ ولخصه الأبهري وترجمه ايضا الطوسي وسمى الخوارزمي به كتابه في علم الفلك لان (المجسطي) خرجت عند العرب عن الخصوصية الى العمومية . « عن كشف الظنون » ج٢ ص ١٥٩٤

٨ ـ الدهر الداهر

٩ ـ الجمع والتفريق

١٠ ـ الجداول .

١١ ـ صورة الأرض من المدن والجبال .

وجاء في الموسوعة الاسلامية ان الخوارزمي ألّف كتبه قبل العصر الذي ازدهرت فيه الترجمة عن اليونانية ، وكان اعتماده على الهندوس والفرس ومدرسة جند يسابور .
وكانت اليونان في المرتبة الثانية .

كتاب الخوارزمي (الجبر والمقابلة) اعظم كتبه انتشارا في الغرب ، وقالت الموسوعة العربية الميسرة ان هذا الكتاب كان أول كتاب دخل أوربة ، فبحسبنا أن أول كتاب دخل أوربة يحمل علماً وفوائد جليلة رفعتهم ونشلتهم .. كان عربيا .

وفي رأي العالم (رسكا)Ruska ان هذا الكتاب يحوي عمليات في حساب التفاضل والتكامل وليس كتاب جبر محض بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، وقد عرض (رسكا) محتويات كتاب الجبر والمقابلة فقال ان فيه .

١) عمليات في التفاضل والتكامل في أبسط صورها

٢ ـ المساحة ، والأخطاء فيها .

٣ ـ قواعد في تقسيم المواريث في الوصية .

ولكن الأستاذ فارسا الخوري في مقالة له في مجلة المقتطف المصرية (بشهر أيار ١٩٠٣ المجلد ٢٨) يرى ان محتويات كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي هي :

١ ـ جمع وطرح وضرب للكميات الحاوية مجهولا واحدا او جذر المجهول او مربعه .

٢ ـ طرائق الجمع والطرح والضرب موضحة بخطوة يعبر بها عن القيم .

٣ ـ بعض امثلة على المعادلة المفردة من الدرجة الثانية محلولة بعد ايضاحات طويلة مبهمة .

٤ ـ باب عن التجذير والترقية لكميات معينة .

والاستاذ فارس الخوري بعد ان استعرض مراحل نشوء علم الجبر عالميا من قديم بدءا باليونان ومرورا بالهنود يرى ان الخوارزمي هو المعدود انه وضع علم الجبر عربيا واصطلاحيا وعنه ـ لا عن غيره ـ

شُهِرَ الجبر وعُرِفَ في العالم بأسره ، مع اعترافه أن العلماء الهنود ، قبل الخوارزمي ، كانوا يلمون بما عند العرب من علم الجبر مما يدل على أن المسلمين لهم قَدَمٌ قديمة ، في هذا العلم .

أما الموسوعة العربية الميسرة فنصت على ان الخوارزمي هو الذي أنشأ علم الجبر علما مستقلا منفصلا عن الحساب ، وأنه هو المعدود ـ عالميا الآن ـ أنه أسسه .

وتقول الموسوعة العربية الميسرة ان الذي ترجم كتاب الجبر والمقابلة الى اللاتينية هو (إدلا البائي) ، بينما تعزو الموسوعة الاسلامية ذلك إلى العالِمَين (ج الكرموني ، والشستري) ، وغيرهما وتضيف أن ثمة إشارات إلى شروح عربية على هذا الكتاب كتبها « سنان بن فتح » وعبد الله بن السيدناني وأبو الوفاء **البوزجاني مخترع المماس في المثلثات** كما قال العالم « سوتر » ،ويزيد العالم (روزن Rosen)شرحا آخر لرجل يدعى المزيهفي .

وقد فشا الكتاب عند العرب فشوا عريضا وتتردد الأمثلة التي أستخدمها مثل : س^{٢} + ١٠ س = ٣٩ باستمرار في مؤلفات علماء مثل أبي الكامل شجاع ابن أسلم ، والكرخي ، وعمر الخيام .

لكن الذي تأثر بالخوارزمي عميقا هو العالم (ليوناردو البيزي) ، الذي كان مع أبيه في الجزائر ، وفقه كتاب الجبر والمقابلة ، وهو الذي لما عاد إلى أوربة نشره علميا نشرا كبيرا ، وليوناردو البيزي من أعظم علماء الغرب في عصر نهضتهم المعروفة وإليه يُعزي كل شامخ من أبنية مجدهم العلمي .

أما الدكتورة (زيغريد هونكة) فقد فصّلت الأمر بوضوح أكثر في كتابها النبيل الذي نشر في العربية باسم (شمس العرب تسطع على الغرب) فبينت أن مجد الخوارزمي الأكبر هو اختراعه الأرقام الحسابية التسعة المستعملة الآن ـ وإلى أن يشاء الله ـ في كل العالم ـ واختراعه الأرقام أدى عنده إلى اختراعه طريقة الحساب العشري ذي الخانات السحرية ، ثم قالت : إن الخوارزمي ، في زمن المأمون ، صنّف الأرقام الحسابية في سلسلتين : سادت الأولى في الشرق حتى هذا اليوم ، وانتقلت الثانية ، وتسمى الأرقام الغبارية ، إلى الأندلس ومنها إلى أوربة وهي المستعملة عندهم حتى اليوم .

أما السلسلة الأولى ـ وهي المستعملة عندنا ـ اليوم ، فأصلها هندي ، ولكن الدكتورة زيغريد هونكة بينت أن الهنود وضعوها بشكل أصعب مما هي عليه اليوم ، وذكر العلامة : أبو الريحان البيروني أن الأرقام الهندية هذه اختلفت لدى الهنود أنفسهم ، فلم تكن موحدة ، ولما اطلع عليها العرب قديما حسّنوها وابتكروا عليها ومنها شكل ارقامنا اليوم ، فلا يصح أن يقال لأرقامنا اليوم انها أرقام هندية ؛ لكنها أرقام عربية مبنية على أصول هندية . وقالت الدكتورة زيغريد هونكة ان العالم

السوري القديم (سايروس سابوخت) هو أول من وقعت إليه الأرقام الهندية التسعة ، وكان صاحب دير ومدرسة على نهر الفرات ، وكان ذلك سنة ٦٢٢ للميلاد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هاجر يومئذ الى المدينة المنورة ، ثم إن تلك الأرقام ضمرت بموت سايروس فلم يسمع بها أحد إلا عالم آثار منقبا ، ولم يتعلم استعمالها مخلوق ، لاعتزال سايروس الناس ، ولسبب جذري آخر ، وهو أنه لم يقع لسايروس مع الأرقام التسعة الرقم العاشر السحري : الصفر . وإنما الذي تناول الأرقام الهندية ، إما عن طريق سايروس ، وإما عن طريق العالم الهندي (كانكا) الذي وفد على أبي جعفر المنصور بحساب الهند ، فصممها وحلاها وابتكر شكلها العربي هذا ، وزاد فيها الصفر ، هو العلامة محمد بن موسى الخوارزمي ثم صنف - مخترعا لأول مرة - أرقاما تسعة مع الصفر بشكل جديد ، عربي ، محض ، استنباطا من الدائرة هي الأرقام العربية الغبارية : 5,4,3,2,1 .. مع الصفر العتيد 0 ثم نظم طريقة الحساب ، ونقلها من ان تكون بأيدي العلماء فقط إلى أن تكون بأيدي الناس قاطبة .

وقد قالت الدكتورة زيغريد هونكة : إنه لما نقل ليورنارد والبيزي أرقام العرب التسعة ، مع صفرهم ، إلى أوروبة ، وشاعت فيهم الطريقة الحسابية العربية ؛ وعرف الناس هناك الصفر العجيب ، طاروا به اعجابا ، وتقول الدكتورة : إنه وجد نص لاتينى قديم ، هو مشهد تمثيلي ، يبين الصفر نفسه بشكل رجل على المسرح ، وبمظهر عجيب ، ينشد ويخاطب الجمهور بما عنده من قوة سحرية عجيبة ، وقد نظمت أنا تلك الترجمة ، بشعر عربي سهل هذا هو :

انتبه لي يا صديق
إنني الصفر الطليق
ليس بي نطق ولكن
أنا في العلم عميق
مستدير متكامل
لصلاح المتعامل
عن يمين أنا هائل
ويسار أنا خامل
ليس من دوني حساب
لا ولا العدّ الصواب
أنا لا شيء وشيء
فانظر الأمر العجاب

وقد بينت الدكتورة زيغريد أيضا أن العالم الغربي حربرت الذي درس في الأندلس ثم رقِيَ عرش البابوية باسم (سلفستر الثاني) هو الذي نشر الحساب العربي الخوارزمي أيضا حتى بات يقال في أوربة بعجب : (البابا يحسب بالعربية) .

واتفق جميع علماء الغرب ، من قديم وحديث ، على أن كلمة (اللوغاريتم) المستعملة الآن بكثرة ، ويعرفها طلاب المدارس ، هذه (اللوغاريتم) انما هي تحريف لاسم (الخوارزمي) ، وقد مرت على أوربة عصور وكلمة (الغورتمي) تعني عندهم الحساب أو قاعدة منه ، وقد صدر بذلك قرار رسمي عن مجمع

علمي عقد في أوربة عام ١٨٤٥ لوضع اصطلاحات بعض العلوم وشرحها ، وبين العلامة (هنري فيكتور رينو) في ذلك الاجتماع أن الغورتمي واللوغاريتم هو النطق الأجنبي لاسم الخوارزمي ، العالم العربي الكبير ، ورينو هو صاحب قانون رينو للحرارة النوعية ، الذي يعرفه كل طالب علم في هذا العصر .

أما كتابا الخوارزمي عن الزيج وكتاب الرخامة فلم يذكرهما أحد في هذا العصر .

وأما كتاباه : العمل بالاسطرلاب ، وعمل الاسطرلاب فذكرت الموسوعة الاسلامية أنهما لم يصلا إلينا لا بالعربية ولا باللاتينية ، لكن ؛ في مكتبة برلين الآن مخطوط في الفهرس رقم ٥٧٩٠ لكتاب اسمه « في صفة الاسطرلاب » بالهندسة « للفرغاني ، فيه عدة مسائل فلكية حُلّت بالاستعانة بالاسطرلاب ويبدأ هذا الكتاب بالعبارة الآتية :

« يقول محمد بن موسى الخوارزمي ».

وأما كتابه « المجسطي » وكتابه : « الدهر الداهر » فلا نعرف عنهما شيئا ، وأما كتاب « الجمع والتفريق » فتوجد منه الآن نسخة باللاتينية نشرها العالم « بونكومباني » Bon-compani ـ ١٨٥٧ م كما يقول (رسكا) ، لكن الدكتورة زيغريد هونكة تقول : « وألّف الخوارزمي كتابا ثانيا تعليميا في الحساب ترجم في أوربة إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر ومنه نسخة محفوظة إلى الآن في مكتبة البلاط بفيينا ، ونسخة أخرى بدير سالم ثم نقلت إلى هايدلبرغ ».

فأغلب الظن أنها تعني كتاب الجمع والتفريق .

أما كتاب الجداول فتقول الموسوعة الاسلامية إن الخوارزمي صنعه تدرجا من كتابيه عن (الزيج) الذي سمي (السند هند) وفيه جداول تعتمد على حساب المثلثات وترد فيه كلمة (جيب) ، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن (مسلمة المجريطي) نقح كتاب الجداول للخوارزمي ، وإنه عن هذا التنقيح أخذت الترجمات اللاتينية للكتاب .

أما كتاب (صورة الأرض من المدن والجبال) فهو الذي يسميه (أبو الفداء) ، **ملك** حماة ، كتاب الربع المعمور ، ومنه الآن نسخة في ستراسبورغ ، وقد نشره نللينو مترجما إلى اللاتينية ، وبحث مادته الجغرافية فيه بحثا مستفيضا ، وقارنها بمعلومات بطليموس ثم تناول العالم فون مزيك H. Von. Mzhihs هذا الكتاب بالبحث الشامل ، وترجمه ونشره ، وعلق على الجزء الخاص بافريقية وأعد ـ إلى ذلك ـ صورة كالخريطة تعتمد على ما ذكره الخوارزمي .

ذلك عالم من علمائنا ، ونجم من نجوم حضارتنا ، الذي كلما ذكر رقم حسابي ، او كتب في الشرق والغرب قام له في القلب والذهن احتفال ، وماذا صنعت أرقامه الحسابية في الحضارات ، وماذا فعل نظامه العشري ، وصفره الضخم ، في الاختراعات وعلم الفضاء !!؟؟

صوت من أعماق التاريخ

الصهيونية تحفر قبرها

للأستاذ / محمد لبيب البوهي

الحركة الذاتية للأشياء :

حين نتأمل الأشياء ونحاول النفاذ الى ما وراء الظاهر ، نجد حتما أنه وراء كل ظاهر طبيعة باطنة ، هي منبعه التي منها يأخذ ، وتنعكس طبيعتها عليه .. ذلك أنه ما من شيء قد خلق عبثا فلكل شيء خصائصه الذاتية لحكمة لا يعلمها الا الله ... (**ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) ٥٠/ طه ... فكل ما خلق الله سبحانه وضع له قانونا يحكمه - فهو يسير في طريق موزون تدفعه اليه خصائصه .. ولنضرب لذلك مثلا لتقريب الأمر ، فلننظر الى الذبابة مثلا فهي منذ

اللحظة التي تخرج فيها الى الحياة تدرك على الفور أن الانسان هو عدوها ، فلا تأمن له أبداً ولا تستكين على يده لحظة يهشها ، وما من أحد قد علّمها ذلك وما من تجربة خاضتها من قبل ، وانما هي الخصائص المركوزة في طبيعتها ، والكامنة في أعماقها كمونا ذاتيا مثل كمون الحياة في حبة القمح ، ولقد وجدت كميات من القمح في قبور قدماء المصريين مضى عليها آلاف السنين ولم تغيّر من طبيعتها ، فما أن زرعت حتى انبتت كأنما هي من حصيد الأمس ، ذلك لأن خصائصها الكامنة فيها تخضع لقانون ثابت بالنسبة لنوعها . وعلى عكس مثل الذبابة الذي ذكرناه آنفا فان القط المستأنس في البيت ما ان تشير اليه حتى يهرع مطمئنا تحت يدك ..
وعلى هذا القياس . فما هي خصائص الصهيونية الكامنة فيها ؟

من خصائص الصهيونية :

ينبغي لنا حتى لا نكون ظالمين ، أن نوضح أن من بني اسرائيل من قد يهتدي فتستقيم معه الأمور اذا ثاب الى الرشد لممارسة الحياة على وجه سليم ، بدليل أن منهم من قد آمن بموسى عليه السلام ، ولكن الذين يتولون أمورهم منهم ، هم كما اثبت التاريخ من الكثرة التي طبع على قلوبها وآثرت العنف والشر والعدوان ، ممن تعاهدوا على ذلك في أوكار جبل صهيون والذين استمدوا صفة اسم الصهيونية منه .. ولعله علينا ان نذكر ما فعلت كثرتهم الكاثرة بيوسف وأخيه فالجميع أبناء يعقوب : « اسرائيل » ـ فلقد يكون للانسان منا ابناء منهم الصالح ومنهم الشقي فتلك طبيعة الحياة ، وتتغلب صفات خاصة على بعض الأسر فيتوارثونها في الأعم الأغلب من ابنائهم وفي مرآة التاريخ قد نرى صورة النشأة الأولى لأكثر ابناء اسرائيل .

مما يرويه التاريخ عن بني اسرائيل :

نعلم أن بني اسرائيل هم أولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل ، وقد ولدوا لنبي الله يعقوب عليه السلام من أربع زوجات ، وكان عددهم اثنى عشر ولدا ، وفي البداية تمكن الشر من اكثرهم وهم الذين غدروا بيوسف وأخيه ، وكذبوا على أبيهم ، ولم تأخذهم به رحمة ، ولا همٌّ ولا ندم ، الا بعد أن ذاقوا وبال أمرهم ، بل انهم مع شرهم رموا أباهم بانه في ضلال قديم ... ولما انكشف أمرهم واحيط بهم أعادتهم الظروف قسرا الى سواء الطريق .. ترى هل هذه هي طبيعتهم في كل ظرف وكل حال وكل حين ؟ ولسوف تستمر هذه الخصائص كما تقول آيات الله حتى يرث سبحانه الأرض ومن عليها : (**لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**) ٧٨/ المائدة .
ولقد روت احداث التاريخ عن بنى اسرائيل انهم كلما آنسوا فرصة للغدر

غدروا ، فاذا احيط بهم رفعوا أيديهم وخروا امام الاحداث ساجدين ربما في استسلام لانتهاز فرصة اخرى لغدر جديد ، وهم على استعداد دائما عندما يحاط بهم بقوة وبأس شديد ان يحفروا قبورا يختفون فيها الى حين ، مما يوجب على الذين يبتلون بهم ان يكونوا على بينة بهذه الحقائق ، وان يعدوا دائما لذلك كل عدة .. ولتكن العبرة مما فعلوه بيوسف دائما في الاذهان ، لقد مكن الله ليوسف عليه السلام بعد غدرهم به ، حتى صار مشرفا في ارض مصر على خزائن الحبوب في عهد حكومة الهكسوس الذين حكموا فترة من التاريخ ارض مصر ، وكانت مخازن التوزيع التي يشرف عليها يوسف في الوجه البحري من أرض مصر في مكان قريب من الصحراء الشرقية من سيناء فكان اقرب مكان لبلاد مدين التي عاشوا فيها حتى أصابهم القحط الشديد ، وهكذا قضت الحكمة التي جاءت بعصبة الشر لالتماس المعونة عند أخيهم أمير الخير ، وهم يجهلون أمره ، حتى ينتهي الأمر بأن يخروا لمن غدروا به ساجدين .

لماذا يميلون الى العزلة والتجمع الشرير ؟

قد نلمس هذا عندما تكاثر عددهم الى الوف كثيرة بأرض مصر فقد كانت البلاد يحكمها غاصب لا يرعى لأهل البلاد حقا ولا ذمة ، ولما كان الحاكم غريبا عن بلاد مصر ، ويحكمها بطغيان كبير ، ولكي ينال بنو اسرائيل الحظوة عنده انضموا اليه ، وصار أكثرهم عيونا وجواسيس على أهل الأرض التي آوتهم ، ورفعت العقرب كما تعودت دائما ذنبها ، ولعدم اطمئنان الغريب المدبِّر للشر في المكان الذي آواه ، آثروا العزلة عن المجتمع ، خيفة من أن ينال منهم عندما يكشف أمرهم ، فاتخذوا لأنفسهم مساكن منعزلة متجاورة ، واستمر ذلك دأبهم حتى عصرنا الحالي ، فهم يتخذون في كل دولة تجمعا يعرف باسمهم ، مما صار عرفا في هذه الاماكن المختلفة باسم « حارات اليهود » ثم ركزوا جهدهم على الثراء ، وجمع المال من أي سبيل .. ، ولنرجع الى شأنهم الذي كان هكذا في أرض مصر حتى بلغ تعدادهم زهاء نصف مليون بعد ان كانوا مجرد سبعين نفسا عندما جاءوا بأهلهم في عهد يوسف عليه السلام ، ولما كثر عددهم واشتد خطرهم في ارض مصر ، وحازوا اكثر ثرواتها في أيديهم ، حدث النزاع الذي أشار اليه القرآن الكريم مع فرعون مصر .

الخروج من أرض مصر :

كان ذلك عندما أمر الله تعالى موسى وهارون ان يذهبا الى فرعون لدعوته الى دين الله ، وليهتدى الى طريق قويم تصلح به الأمور ، وذلك بعد ان اشتد بأس فرعون عليهم ، حتى فاض طغيانه معهم كل حد ، فأذاقهم العذاب ألوانا ، فاقتضت رحمة

الله انقاذهم منه ويبدو هنا سؤال يطرح نفسه : لماذا ينقذ الله قوما يغلب على طبيعتهم الشر ؟ ولكن الله تعالى لا يرضى بالظلم حتى للذين يحيدون عن طريقه وكان فرعون ظالما بلغ به الشأن ان أمرهم بعبادته من دون الله فكان أمر الله بانقاذهم من عبودية فرعون .

ولقد جاء في اكثر الاقوال ترجيحا ان هذا الفرعون هو رمسيس الثاني ، وقيل انه هو فرعون الاضطهاد ، أما فرعون الخروج فهو ابنه منفتاح في حوالي عام ١٢١٣ قبل الميلاد .

سرقة ذهب مصر قبل الخروج :

وقد تآمروا فيما بينهم على سرقة ذهب مصر قبل خروجهم بحيل خبيثة من ذات الخصائص المتأصلة فيهم ، فقد تواصوا ان تذهب كل امرأة الى جارة لها من اهل مصر وتزعم لها انها ترغب في اقتراض زينتها الذهبية لتحضر حفلا ما ، وفي ذلك يقول سفر الخروج في الاصحاح الثاني عشر ما نصه : « انكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وذهب فتسلبون المصريين » ومن هذه الحلى صنعوا الصنم لعبادته ، بعد أن نجاهم الله وقد صنعوا ذلك بمجرد وصولهم الى الشاطيء الآخر وفي ذلك تقول آيات الله : **(ولكنا حُمّلنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى . فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم واله موسى)** طه / ٨٧ و ٨٨ .

الطبع الشرير والعقاب :

قد نعجب كثيرا حين نتأمل عنف هذا الطبع الذي لازمهم في وقت كان الأجدر بهم شكرا لله على نعمة انقاذهم ، بل سرعان ما تنكروا لفضل الله عليهم ، فما ان تركهم موسى عليه السلام لميقات ربه فأصروا في غيابه القصير ان يكون لهم عجل من ذهب يعبدونه من دون الله ، وقد صنعوا العجل من الذهب المسروق من نساء أهل مصر ، ولذلك لم يدخلوا أرض كنعان في فلسطين الا بعد ان عوقبوا بأن تاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة لا يعرفون لهم منها مخرجا حتى فنى الجيل الذي عبد الصنم ونشأ منهم جيل جديد .

مذبحة قديمة أقاموها لأهل البلاد التي آوتهم :

وهي تشبه المذبحة الأخيرة التي كانت منهم في أرض لبنان منذ شهور قليلة انسياقا مع الطبع الكامن فيهم كلما لاحت لهم فرصة غدر بالأيادي التي تمتد اليهم بخير ...

والمذبحة التي نشير اليها بعد موت هارون ثم موت موسى عليهما السلام ، ودخولهم تحت قيادة يوشع بن نون ويقول المؤرخ (وول ديورانت) في الجزء الثاني من كتابه عن تاريخ حياتهم صفحة ٣٢٦ : « استولوا على احدى المدن واحرقوها بعد أن قتلوا من أهلها اثنى عشر الفا وذبحوا حاكمها » .

هذا قول المؤرخ ديورانت الذي استمر يقول : « ولسنا نعرف في تاريخ البشرية ما هو افظع من هذه المذابح » .

الا ترى أن تاريخهم دائما يكرر ويعيد نفسه !! لقد عاشوا بعد دخولهم أرض كنعان في صراع ومذابح مع جيرانهم حتى استطاعوا تكوين مملكة لهم ، ثم انقلبوا على أنفسهم فانقسمت مملكتهم الصغيرة الى مملكتين ، وكسنة الله تعالى في خلقه حيث يمهل الظالم ولا يهمله حتى اذا أخذه لم يفلته ـ وكما تجلب عليهم طباعهم تلك دائما من يسومهم سوء العذاب ويدفعهم الى حفر قبورهم بايديهم ـ فانه لما اشتدت جرائمهم وجاء أمر الله أسرع اليهم بختنصر البابلي عام ٥٨٦ قبل الميلاد فشتت شملهم وهدم بنيانهم ، وطارد فلولهم ثم ساقهم أسرى .. وانقذ ارض فلسطين من شرهم ، بعد ان كانوا قد اقاموا مملكة تسمى اسرائيل لم تعش الا فترة يسيرة من زمن التاريخ .

وصف المؤرخ ويلز لحقيقة اسرائيل :

وتلك شهادة مؤرخ غير مسلم حتى يتهم بالتحيز أو العصبية ، انه يقول : « انه بعد ان أنزل بهم بختنصر ما كانوا يستحقون من عقاب عام ٥٨٦ قبل الميلاد ظلوا في شتات حتى أعادهم قورش الى أرض كنعان ، وأباح لهم شيئا من الحرية تحت زعامة عزير الذي يسمونه عذرا فأقاموا دولة صغيرة في جزء من أرض فلسطين ، ولكن تصرفاتهم عادت بعد ذلك لتكون في اكثر الاحيان مع جيرانهم ملطخة بالعار » ثم يقول هذا المؤرخ « ان حكامهم ، في أغلب الأمور ، مجموعات من الهمج لا يرتبطون بعهد ولا ذمة ولا قانون » فما لبثوا مرة بعد مرة ان حفروا قبورهم باعمالهم ، فقطع الله دابر حكمهم بعد فترة لا تعد في أيام الحياة شيئا مذكورا ، فلم يزد عمر دولتهم تلك عن خمسة وعشرين عاما وبعث الله عليهم من شتت شملهم مرة اخرى وفي ذلك يقول الحق سبحانه : (**وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب**) ١٦٧/ الاعراف .

مسئوليتنا أمام التاريخ ..

ان كيد اسرائيل لم ولن ينتهي حتى تقوم الساعة ـ وانه لكيد ضعيف أمام قوتنا وبأسنا وانه لكيد مريع امام ضعفنا .. وهذا هو تاريخهم خير شاهد ، فما من مرة احيط بهم بسبب خصائصهم العدوانية الا ذاقوا وبال امرهم وحفروا قبورهم بقبح

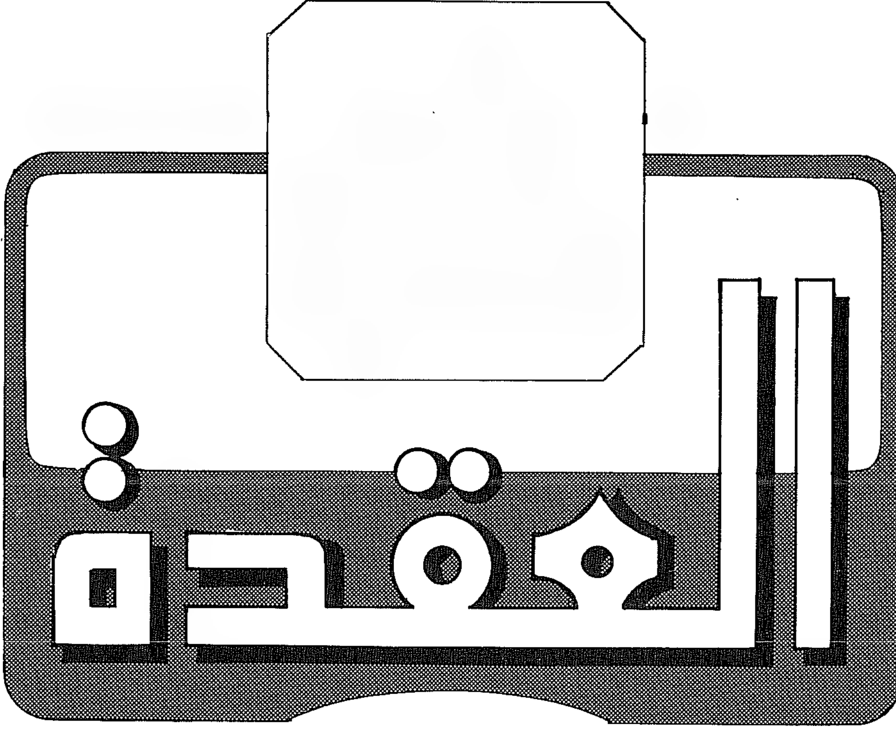
أفعالهم .. ان مثلهم كمثل العقرب التي اذا احيط بها لدغت نفسها .

اننا مطالبون امام الله ـ وامام الضمير الانساني .. وامام الاجيال القادمة بجمع الشمل وتقوية البأس وتغيير ما صارت اكثر أمورنا اليه وذلك : (**إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) ١١/ الرعد .

ما من نكبة اصابت الامة من بعد عهد كيدهم في المدينة المنورة الا كانوا وراءها ، ولن تكون نكبة فلسطين ولا التدبير الاجرامي **وراء القضاء على الخلافة لن يكون ذلك** آخر العهد بتدبيرهم .

وقد يتساءل كل مخلص منا ماذا عليه ان يعمل ؟ يظن ان الآخرين يجب ان يعملوا ، ويقف هو موقف المتأسف أو المتألم بقلبه .. ان كل فرد مكلف بالأمانة العظمى بتحقيق ايمانه بالحب .. ان يضع لبنة حب في بناء المجتمع الاسلامي العام .. فما يصح ابدا ان يسترسل اي فرد مع شعار النعامة التي كانت لسذاجتها تظن ان دفن رأسها في الرمال يكفيها شر الخطر الواثب نحوها .. ان الغفلة هي رمال النعامة واحلام اليقظة وان العمل الجاد هو السبيل فان الصهيونية ضعيفة الشأن تافهة المقدار بالقياس الى حجمها ، ولكنها تستمد عنفها وعدوانها من أعدائنا الذين يطيب لهم في أحيان كثيرة ان يداهنوا ويضعوا السم في الدسم ـ انهم جميعا يخشون اية يقظة من جانبنا وهناك تخطيط شيطاني ذكي لوأد كل يقظة في مهدها ، واعظم ما يعتمدون عليه هو ان يعملوا من بعيد على ان نتمزق شيعا من داخل أنفسنا .. ان قوة الأشياء في تجمعها ، ولننظر الى البحر الاعظم ، انه لم يصبح بحرا الا بتجمع الملايين من قطرات الماء ـ ولو تفرقت هذه القطرات قطرة قطرة في بقاع الأرض لامتصتها الرمال ولم يعد للبحر وجود ولا شأن ، إن السلاح الاول والاخير والسلاح الذي لا شيء اقوى منه هو الحب ، ولا يتحقق الايمان إلا به ... ولا يتحقق ذلك الا أن يبدأ على مستوى كل فرد حين يفتح قلبه لأخيه فتصبح قلوب المائة مليون على قلب رجل واحد ـ أمام قوة الحب العربي المتكامل سوف تبدو الصهيونية كالحصاة اوكعودمن هشيم امام الجيل المتسامق القوى المتماسك .. إنه لمن العار ان يظل اعوان اسرائيل يتخذون منها خنجرا موجها الى قلب أشرف أمة .. وانه لمن العار ان ندع اسرائيل تفخر دائما أو يزعم لها صانعوها بان لها اليد الطولى التي تستطيع ان تضرب بها حيث شاءت .. لقد نام الأسد فاستأسدت الارانب .. فلنضع عبر التاريخ امام عيوننا ولنبدأ بالحب من الفرد الى الفرد الى الملايين ذاكرين قول الحق سبحانه : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**) ١٠٣/ آل عمران

اما بعد ـ فان المسئولية عامة تبدأ على مستوى الفرد بسلاح الحب والتجمع .. وانه لذكر لنا ولسوف نسأل ، وفي يدنا سلاح الوحدة والحب والتجمع ان نجعل الصهيونية تحفر قبرها ...



للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين

ها هو ذا صديقنا (س) قد نال ما كان يصبو إليه ، وتحقق له أكثر ما كان ينشده ، فأصبح من ذوي القصور الشامخة ، والضياع الشاسعة ، والسيارات الفارهة ، والأرصدة في أكثر من مصرف . فقد عرفناه منذ فجر العمر متطلعا إلى الثراء ، مفتوناً بالاثرياء ، يخطف بصره منهم بريق الزينة ، وتأسر لبه مظاهر الرفاهة والابهة ، وكان من رأيه أن المال يخلق السعادة والهناءة في الحياة ، ويظل النفس بظلال الوداعة والسكينة ، ويبني للمرء حصن الأمن والأمان من طوارق الحدثين ، وكان يرى، أن القانع الراضي باليسير من الرزق كليل الفكر خائر العزيمة خامد الشعور قليل الحيلة . ومن هذه الفلسفة وذلك المنطلق كان ينبعث سلوكه وتعامله فهو كز النفس مغلول اليدين يتحلب ريقه عند مظنة الكسب ، وتذهب نفسه حسرات عند فوات ربح كان يمكن الظفر به ، وكلما ارتفعت أرقام أرصدته في المصارف ازدادت نهمته واستحكم الحرص في نفسه . وعلى الرغم من هذا كله فقد كنا نحبه ونأنس به في مجلسنا ونهش له ، ونصغى لحديثه . فقد كان مرحا حلو الدعابة سريع البديهة ، يحفظ كثيرا من الطرائف والملح ، ويجيد القاءها بصوت منغم معبر ، وإشارات رشيقة لطيفة مما جعلنا نغضي عن صفاته الأخرى ، فلنا فيه ما يروقنا وله في نفسه ما يروقها ، والناس أخياف مذ كانوا ، كل يغني على ليلاه سواء أكانت ليلاه المال أو الجاه والسلطان أو العلم والمعرفة ، ولولا أن هناك قدرا كامنا من التجاذب بين الناس لتنافروا تنافر الضدين ، وتعاقروا تعاقر ذوات

الأنياب والظفر .
لم تدم موالاة سميرنا (س) طويلا بعد أن نال الكثير مما كان يؤمل فيه . فقد بدأ يتخلف عن مجلسنا كثيرا ثم أصبح لا يعرج إلا لماما ، وقد غاضت بشاشته وشحبت طلاوة حديثه وطال صمته وشروده ، يقضي لحظات جلوسه معنا في تثاؤب ينم عن الضيق والضجر فلم يعد مجلسنا يستهويه وليس بيننا من يتخذه مطية لمآربه ثم انقطع عن المجلس تماما ، ومضت شهور بل أعوام لم نك نلتقي به فيها إلا صدفة في طريق فنتبادل تحية عابرة ويمضي كل في سبيله . وقد عزونا سلوكه هذا إلى انصرافه إلى حياته الجديدة ، وركونه الى الاستمتاع بضروب النعيم التي أتاحها له الثراء . وقد حاولنا باديء ذي بدء جاهدين اجتذابه إلى مجلسنا بكل وسيلة ممكنة فلم نفلح ، فانصرفنا عنه ، واسقطناه من زمرتنا آسفين عليه ، وهل لنا غير ذلك من سبيل ؟ فنحن نعرف أن للمال في نفوس المفتونين به ضراوة شديدة ، وأسرا لا فكاك منه إلا بالرحيل عن هذه الحياة .
غاب ذكر صديقنا القديم (س) عن البال وكادت تمحو صورته الليالي من الخواطر وهل يبقى مع الهجران ود ، ومع التنائي ذكر ؟! وهل الحياة إلا كصفحة الخضم تتابع أمواجها متجددة ، مفترسا بعضها بعضا ، متلاشية في سواها وهكذا إلى أن يشاء الله الحكيم الخبير .
وذات يوم عند الاصيل طرق باب داري طارق لم يكن إلا هو صديقنا القديم (س) فاستقبلته هاشا باشا محييا بكل عبارات التحية فكان رده خافتا مقتضبا وكأن شيئا في نفسه مني وقد بدا شاحبا مقطب الجبين شارد النظرات ، تزيد الابتسامة المتكلفة وجهه وحشة وغرابة ، فهالني الأمر وعقد لساني عن الكلام ، فجلس وجلست في صمت وإطراق تذهب بي الظنون كل مذهب ، ثم هتكت حجاب الصمت قائلا : وقى الله صديقنا السوء ورفع عنه البأس وحفظه من وسواس الجن والانس . فما بالك أيها الصديق على غير ما عهدناك أيام كنت تواصلنا ؟ ؟ أبك من ضر ؟ أحدث لك مكروه ولم نعلم به ؟ أم نقل إليك واش عنا زورا وبهتانا ؟ أم ...
وهنا قاطعني في ضجر قائلا : كلا كلا لا هذا ولا ذاك فالامر بعيد عما تظن وتتصور . وسكت برهة كانت القهوة قد أحضرت فقدمت إليه قدحا وأنا أنتظر منه الكلام في لهفة ؛ ليكشف عن نفسي ما خيم عليها من هم وظن ، فرفع رأسه قائلا في صوت متهدج مرتعش : يا فلان هل أنا جبان رعديد ؟! قلت حاشاك يا صديقي أنت أبعد الناس عن هذه الصفة قال : هل أنا منعزل منطو عن الناس ؟ قلت كلا ولا هذه إلى آخر عهدنا بك قال : فهل بي مس من الخبال والجنون ؟ قلت - وقد نفد صبري : ما هذا يا رجل ؟ أفصح وأبن ما عهدناك إلا شجاعا صريحا ولا ننسى أن نحتسي القهوة قبل أن تذهب حرارتها ونكهتها المحببة لديك قال - ولم يعر القهوة اهتماما - : أنا ما جئت إلا لأتحدث إليك بدخيلة نفسي ، وأبوح لك بسر كتمته عن الناس جميعا لعلي أجد لديك ما يسرى عني أو ترشدني إلى من يخلصني مما أعاني منه وإلا فإني هالك قلت حفظك الله وابعد عنك البأس واليأس ، هات ما عندك فإني

مصغ إليك وإلا فما الصداقة ؟ وما الصديق ؟ قال : فأغلق باب الحجرة ولا يدخل علينا أحد قلت لك ذلك . وأغلقت الباب وأوثقت رتاجه ثم جلست منه عن كثب وأعطيته سمعي وبصري وفكري فقال : وقد تندى جفناه بعبرة ـ: يا صديقي إنني منذ أعوام وطوال مدة انقطاعي عن مجلسكم الحافل الموفق بكل ضروب المعرفة والآداب وأنا أعاني من أحاسيس غريبة على ، وليست من طبيعتي : فقد اعتراني في أول الأمر شعور من التطير والتشاؤم إلى حد أني كنت إذا رأيت بعض الحيوانات أو الطيور أو الناس في غدوى لشأني في الصباح أرتد عائدا إلى البيت فلا أخرج طول يومي . قلت : إيه ثم ماذا ؟ قال : غمرني إحساس بأن الناس أقرباء وأباعد طامعون فيما عندي ، يترقبون الفرص للانقضاض على وأن الحياة قد أصبحت غابة تصخب بالزئير والعواء والضجيج ، قلت : وماذا بعد ؟ قال : تملكني الرعب والهلع ، فأنا دائما مرتاع الفؤاد مرتعد الفرائص أشك حتى في بنيَّ وأهل بيتي ، أخاف من طلوع النهار بضوضائه وصخبه ، وأفرق من هجمة الليل بظلامه ووحشته ، فأنا أفر من الليل إلى النهار ، وأهرب من النهار إلى الليل دون أن أجد في كليهما راحة لنفسي أو انسا لقلبي ، وكرهت لقاء الناس ورأيت في ابتسامتهم تكشير السباع لفرائسها الضعيفة . ثم أردف قائلا في ارتجاف ومذلة وخضوع : فبماذا تشير على ؟! أرشدني أرشدك الله وأخرج منديله يكفكف به دموعه المنهلة من عينيه ، فامتلأ قلبي إشفاقا وغمر نفسي فيض جارف من الحنو والرثاء ، فأخذت أربت كتفه قائلا : هون عليك يا صديقي العزيز فالأمر أيسر مما تتوهم ، فهذا عارض يعتري كثيرا من الناس ـ في عصرنا هذا ـ ممن أركضتهم الحياة ورغاب النفس ثم يتلاشى كما تتلاشى السحابة الداكنة تحت أشعة الشمس ، وتعود النفس إلى صفائها وإشراقها ، ولم أشأ أن أذكره بفلسفته في الحياة وتعامله معها وأن ما يعانيه إنما هو ثمرة غرسه وحصاد بذره حتى لا أنكأ جرحه وأزيد في محنته بل مضيت قائلا : ألم تلجأ إلى دار للاستشفاء أو تعرض أمرك على الأطباء ؟ قال : لا أنكرك يا صديقي أني فعلت الكثير فكم استحضرت من أشخاص قالوا أنهم يشتغلون بالعلم الروحاني ، وسافرت إلى بلدان وقرى كثيرة قيل لي إن فيها رجالا لهم قدرة خارقة على استخدام الجن السفلى والجن الطيار و ..و ... ولكني لم أعد من ذلك العناء إلا باستفحال الداء وتبديد الأموال الطائلة فقلت له : لقد أخطأت الطريق وسلكت وعرا ومتاهات موبقة ، ولكني أدلك على النهج الأمثل والعلاج الأنجع ، فمن حسن الحظ أن علم النفس قد تقدم في عصرنا هذا وبلغ شاوا بعيدا ، فأصبحت له عيادات يؤمها المرضى ويقوم عليها أطباء متخصصون مهرة ، خبراء بأدواء النفوس ودوائها ، يغ[illegible] إلى أعماقها ، ويجوبون شعابها وكهوفها ، ويضعون أيديهم على ما قد يكون من علل خفية ويصفون لها الدواء الناجع ، فما عليك إلا أن تذهب إلى عيادة من تلك العيادات وليصحبك قريب أو صديق مستنير ، وكنت أود أن أصحبك لولا أني مسافر إلى الخارج في صباح الغد في عمل وظيفي . فقال : سأفعل وهب واقفا مستأذنا بالانصراف فودعته داعيا له

بالشفاء وأنا أفكر في أمره . إن داء الجسم مهما كان عضالا فهو في متناول الحواس والمجاهير يمكن تلمسه والوصول إلى معرفته بوسيلة أو بأخرى ، أما داء النفوس فشيء معنوي مجهول لا يقع تحت طائلة الحواس التي نحكم بها على الأشياء ، وما أحسب ما يصاغ ويدبج في شأن النفس إلا ظنا وتخمينا من الفكر البشري المحدود والعلم القاصر مهما نما واتسعت آفاقه ، وما مثل الطبيب النفسي إلا كالصياد يرمي شبكته في لجة الماء الزاخر ثم يجذبها فيجد فيها صيدا أو لا يجد مهما كان متمرسا بطرق الصيد خبيرا بمواطن السمك وتكاثره والأمر بالنسبة لصديقي (س) لا يعدو محاولة قد يتدخل فيها الحظ فتنجح التجربة في تهدئة مشاعره وتسكين نفسه ولو بتأثير الايحاء الذي يعمل عمله في كثير من العقول والنفوس .

وفي مساء اليوم التالي كنت في بلاد أخرى لا عهد لي بها من قبل أتلمس طريقي وأتحسس مواقع خطوي ثم رحت في دوامة العمل ، وظروف الغربة ، ومحاولة التأقلم والتفاعل مع المناخ الجديد ، فلم أفق إلا وأنا في طريق العودة إلى الوطن حيث الأهل والأتراب والأصدقاء بعد غيبة استغرقت من العمر عامين وكان من أوائل من خطر في ذهني وتاقت إلى مرآه نفسي هو ذلك الصديق (س) وجاشت في خاطري ، التساؤلات : ترى كيف هو ؟ ماذا تم في أمره ؟ أهو على قيد الحياة ؟ أم .. وهل وهل .

قضيت أياما بعد وصولي إلى منزلي في استجمام واستقبال للزائرين وكل همي أن أسمع شيئا من أخبار صديقنا المبتلى بما لا يعلم عاقبته إلا الله العليم الخبير ولكن عز من يأتي بما يشفي الغليل ويكشف ليل الظنون . وطرق الباب طارق في صباح يوم بهي مشرق ولا تزال أنسام الصباح الندية تصافح الوجوه المتفتحة بالأمل ، ولم يكن الطارق إلا هو . إنه هو صديقنا (س) بعينه بادرني بالعناق والقبل مهللا ضاحكا بصوته الجهوري وقد عادت إليه بشاشته وقفشاته ومرحه فبهرني هذا المنظر وخالطني مزيج من الدهش والشعور بالغبطة ، وقبل أن يستقر في جلوسه على المقعد بادرته قائلا : ها أنت ذا قد عدت ترفل في حلل العافية بل إني لألمح في محياك إشعاعا جديدا من الوداعة والسكينة . فقال بلهجة تفيض خشوعا وشكرا لله تعالى : نعم نعم ولله الفضل والمنة إنني أكثر عافية وأقوى روحا وأصفى نفسا مما كنت عليه في كل مراحل عمري . قلت له : يقينا قد ذهبت إلى الطبيب كما اتفقنا قبل سفري . فقال : نعم . قلت وتم لك على يديه الشفاء ، ألم أقل لك إن علم النفس قد تقدم وارتقى إلى حد بعيد ؟! فقال وعلى شفتيه ابتسامة ذات معنى آخر : ولكن لم يكن شفائي عند واحد من هؤلاء ، بل كان عند طبيب من نوع آخر لا يفطن إليه كثير من الناس بل لا يحفلون به ولا يقبلون عليه . قلت الذي يعنيني أنك شفيت ، فما قصتك ؟ لقد شوقتني وأثرت شهيتي . فقال ـ وهو يضحك في سرور وسعادة : ولكن القهوة الشهية لم تقدم لي بعد ، ولست بمحدثك بما تتوق إلى معرفته حتى أرتشف قهوتي . فضحكنا وأحضرت القهوة وأخذ يرشفها مستطيبا عبقها ونكهتها وبدا يتحدث قائلا : صحبت قريبا لى مستنيرا إلى عيادة نفسية لطبيب

قال : إنه عليم بما ينتاب النفوس خبير بما يعتورها نفاذ البصيرة لماح الفكر ، سرعان ما يضع يده على الداء ويمنح بدوائه الشفاء . فسررت واملت أن تكون نهاية ما أعاني قد حانت . وبعد إجراءات لا داعي لذكرها برز من وراء ستار شخص معتدل القامة ، أنيق الهندام ، رشيق الحركة مسدل الشعر على منكبيه . ظننت لأول وهلة أنه الطبيب ، فأشار إلى قائلا : تفضل . فقمت إليه ومعي صاحبي فاعتذر في لطف قائلا (بردون) المريض فقط حسب التعليمات ، وقادني في ممر طويل إلى حجرة وقف عند بابها ، فانفرج الباب عن غادة حسناء هيفاء ذات زينة وبهاء فحيت بانحناءة رشيقة ، وقالت بصوت حالم : تفضل يا (إكسلنس) وسارت تخطر أمامي في قاعة فسيحة الأرجاء غصت جدرانها بلوحات وتصاوير مختلفة الألوان والأغراض ، وقد صفت على جانبيها المناضد والأخونة التي غصت بالتحف والتماثيل والأجهزة حتى وصلت إلى مكتب في صدر القاعة فخم ضخم له قاعدة ترتفع عن أرض الحجرة ، وقد تكدست على جانبيه الأسفار والأضابير ، وأجلستني في رفق ورقة على مقعد وثير أمام المكتب وتركتني وانصرفت ، ونظرت فلم أجد جالسا إلى المكتب وبعد برهة تغير لون الاضاءة في القاعة وانفرج ستار خلف المكتب برز منه رجل يخطو كأنه ملك من ملوك الأساطير وجلس إلى المكتب على كرسي مرتفع بحيث يكون مشرفا من أعلى دون أن يتكلم وفتح دفترا أمامه ونظر إلى قائلاً : ما اسمك أيها السيد ؟ وما سنك ؟ وما عملك ؟ وأين تقيم ؟ وسجل إجاباتي ثم قال : بم تشكو ؟ فقصصت عليه أمري كما حدثتك قبل سفرك وكان يسجل من حين لآخر بعض الملاحظات حتى فرغت فقال : متى بدأت تلك الحالة ؟ قلت من اكثر من خمس سنوات . فقال مستنكرا : أتظل خمس سنوات بدون علاج يا رجل ؟! ألم يعترك هذا الشعور في مرحلة من مراحل عمرك ؟ كلا .. كلا . قال : هل تشكو من أمراض باطنية في المعدة - القولون - الكبد - الصدر - سكر - ضغط ؟ قلت كلا إني سليم من كل ذلك ، وسكت قليلا ثم قال : من الآن حتى الغد تحاول أن تتذكر وتسترجع كل ما مر بك في مراحل حياتك من أحداث بارزة ومواقف عنيفة لتحدثني بها مفصلة في مثل هذا الموعد ووقف واختفى وراء ستار فبرزت من حيث لا أدري حسناء أخرى سوى التي استقبلتني أكثر امتشاقا وسحرا وقالت بصوت كرنين الأوتار : قد انتهت الجلسة فإلى الغد وشيعتني بابتسامة وانحناءة أودعت فيهما كل ما لدى المرأة من ضروب الاغراء والفتنة ولكنها وزميلتها كانتا كمن يطرق في حديد بارد فهما في واد وأنا في واد آخر . واستقبلني قريبي الذي كان ينتظرني وذكرت له ما كان وما رأيت وما سمعت فقال سترى من معجزات هذا العلم ما يشبه السحر ، وانصرفت إلى داري استحث الفكر وأقلب صفحات الذاكرة مستعرضا أحداث الماضي البعيد استعدادا لسردها في جلسة الغد . قال صديقي (س) : وجاء الغد وذهبت إلى العيادة وبمثل إجراءات الأمس كنت على مقعدي أمام مكتب الطبيب الذي كان في انتظار القادم ، وقال : فلنبدأ من الطفولة . ومضيت أقص عليه وهو صامت يرسم بالقلم على الأوراق إشارات ورموزا ودوائر حتى فرغت ثم

قلت له في لهفة : ترى ماذا بي ؟ هل يمكن شفائي ؟ فتبسم ضاحكا وقال : لا تتعجل فليس الأمر بهذه البساطة ، إنني سجلت بدقة ملاحظات وانعكاسات للأحداث في النفس اقتنصتها مما قصصت على ، وستأخذ دورها في طور التحليل السيكولوجي الدقيق ثم تصنف حسب المقاييس العلمية ، وتنسب إلى نوع من أنواع الأمراض ، وهذا العمل يحتاج إلى وقت لا يقل عن أسبوع ، فإلى مثل هذا اليوم من الأسبوع القادم ، فودعته وانصرفت ، وعدت بعد أسبوع ودخلت على الطبيب بنفس الاجراءات ، فحييت وجلست فظل صامتا يقلب في دفتره فشققت حجاب الصمت قائلا : لعل نتيجة التحليل تبعث في نفسي الاطمئنان والأمل . فخلع نظارته ونظر ثم عبس وبسر فقال : إنها العقدة .. نعم العقدة لا شك وسيتضح نوعها ، ومدى عمقها فيما سنجريه عليك من فحوص واختبارات في الجلسات القادمة قلت : وهل ثمة جلسات أخرى ، قال نعم : ان اردت الشفاء . قلت فما مدلول العقدة ؟ إنني أسمع هذه الكلمة تتردد في أفواه الخاصة والعامة في مواقف مختلفة دون أن أعرف لها معنى واضحا محددا ، فهل أظفر منكم بتحديد مدلولها ؟ ففي ذلك راحة لنفسي وتنوير لعقلي ، فقال ـ وقد انبسطت أساريره ومال إلى الأمام مقتربا مني ـ : سأبسط لك المطوى واكشف المستور متجنبا رموز العلم واصطلاحاته التي لا يستوعبها ويعرف مضامينها إلا أطباء النفس ، فأصغ إلى مركزا انتباهك فيما أقول ، إن حادثا ما وقع لك في مرحلة ما من مراحل عمرك وترك أثرا وهذا الأثر سقط في منطقة اللاشعور ، واستقر في الأعماق ونسيته تماما ، ولكنه ظل يعمل عمله ، فتنبعث منه إشعاعات سوداء وأبخرة قاتمة يتسبب عنها ما ينتابك من الأحاسيس والمشاعر التي تشكو منها ، وتنغص عليك عيشك دون أن تعرف لها مصدرا أو سببا . فقلت مبهوتا متحيرا شبه ذاهل : يا ألطاف الله !! وكيف بالله يا دكتور نعثر على هذا الشيء الذي سقط في تلك الأعماق وقد تحصن بمجاهيل أربعة : الزمان والمكان والصفة والسبب ؟!! فنظر الطبيب في عيني نظرة متفرسة مرتابة كأنه يستوثق من أني جاد لا أسخر ، وأنني آخذ أقواله مسلمة بلا ريب ، وقبل أن يتكلم بادرته قائلا : في صوت خافت حزين : وهل يمكن شفائي إني لأرجو على يديك البرء والعافية فانبسطت أساريره واطمأن ، وانطلق يقول في ابتسامة الواثق المتمكن : أما شفاؤك فهو أمر مقطوع به مؤكد ، وأما كيف فذلك شأن الطب النفسي فإن لدينا نحن الأطباء الأساليب والوسائل التي نغوص بها إلى أعماق النفس ونجوب شعابها ، ونجوس خلال منعرجاتها ، ونتحسس الداء في مكمنه الخفي فنزعجه ونهيجه فيطفو على سطح اللاشعور فننقله بوسائلنا إلى بؤرة الشعور ، وحينئذ يظهر لنا واضح المعالم فنقضي عليه . ثم أردف قائلا : ولكن هذا يتطلب زمنا وصبرا وتضحية فهل أنت على استعداد لذلك ؟ قلت : نعم نعم ، وإني طوع أمرك ، ورهن إشارتك ألست الذي سيأخذ بيدي إلى بر الشفاء والعافية ؟ فقال ـ وقد بدا عليه الارتياح ـ اتفقنا فإلى أولى جلسات الاختبار ثم العلاج ابتداء من الغد .

قال (س) وبدأت - يا صديقي - رحلة الفحص والعلاج يواكبها استنزاف ما في الخزانة والجيب ، وقد استكنت للطبيب ، وركنت إليه ألتمس الشفاء منه وأنظر إليه نظرة العابد لصنمه المعبود ، ومرت أسابيع فشهور رأيت خلالها ألوانا من أساليب الاثارة والتهدئة ، والاغراء والصد ، والاباحة والمنع . والحق أقول : إنه قد بذل جهودا جبارة ، واستنفد معي كل طاقاته وما لديه من أساليب وحيل مبتكرة وغير مبتكرة ، ولكني ظللت كما أنا بل ازددت قلقا وهما . وكان آخر جلسة لي عنده تلك التي قال قبلها : ستكون جلسة اليوم شاعرية المناظر ، فردوسية الجمال ، بابلية السحر ، وقادني إلى شرفة شاسعة تطل على حديقة ذات أشجار وأزهار متباينة الأشكال والألوان ، وقد وضع لي كرسي وثير بجانب منضدة صفت عليها أقداح وقوارير ملأى بمختلف الشراب المجلوب من بلاد النور والعلم - كما يقولون - ولست أدري ما نوعها وما تحتوي عليه وقد وقفت حوريتان من حوريات الدنيا على أهبة للمسامرة وتقديم الخدمات التي قد أطلبها ثم قال الطبيب : ستسمع في هذه الجلسة الموفقة ألوانا من الموسيقى تجعلك تسبح في آفاق لا حدود لها من السحر والجمال ، وتهدهد مشاعرك بأجنحتها الوردية ، وتروي وجدانك من قطرها المنهل من سماء الفن العبقري .
وانصرف الطبيب وقد انطلقت الموسيقى من مكان غير منظور ، وملت أنا على أحد جانبي الكرسي واضعا رأسي على مجمع قبضتي مرتكزا على ساعدي ورحت في بحار مائجة من التفكير القاتم العنيف ، ذاهلا عما حولي ، وطالت الجلسة حتى غمرني الملل وملأ الضيق صدري ، واستبد بي القلق . وبعد فترة أقبل الطبيب باسما يتهادي ولكن سرعان ما تلاشت منه الابتسامة عندما رآني مجهم الوجه قلقا متحفزا فقال في دهش : ألم تطربك الموسيقى ؟ ألم تستمع الى وقع المطر وحفيف الشجر ، وهمس النسائم ، وهديل الحمائم و.... فقاطعته قائلا في ضجر : كلا كلا لم أسمع إلا صفيرا وصخبا وضجيجا أضجرني وصدع رأسي فقال وهو يهز رأسه في استياء - إنها سيمفونيات بيتهوفن رقم ... وموزار رقم ... و ... فقلت لا شأن لي بذلك ، ولا أرب لي فيه فقال وهو يضرب كفا بكف دعنا .. دعنا لقد حرت في أمرك يا رجل فمن أي طينة أنت ؟! قلت بنبرة التهكم ولهجة التحدي : من طينة الانسان .. ألا تراني كذلك ؟! فقال - وقد أدرك أني صدفت عنه ونفضت يدي منه - : فلنوقف العلاج ريثما تستريح وليكن ذلك في إحدى قرى الفلاحين التي تلائم حالتك ، وفهمت ما يرمي إليه ولم أجبه وخرجت من عيادته بلا وداع ، وعلى صدري مثل الجبال من الهم ، وفي فكري قطع من سواد الليل البهيم ، وفي أعصابي شعل من لهب الجحيم ، وضاقت بي الأرض بما رحبت فما فيها لنفسي مستراض ولا ملجأ ، فانطلقت في الطرقات هائما على وجهي لا ألوي على شيء وكأني أركض فريدا في غابة موحشة في ليلة من ليالي المحاق ، فلا أعي ولا أسمع إلا زمجرة وحشرجة ، ولم أدر من أنا وإلى أين ، وبينما أنا في تلك الدوامة الداوية والغمرة العاتية إذا بصوت ملائكي حنون ينبعث من فوق بناء بسيط متواضع

ويساقط في أذني ذلك النشيد الخالد : الله أكبر .. الله أكبر ، فانتفضت منتبها من غمرتي وذهولي إنه صوت المؤذن لصلاة المغرب ، فاندفعت إلى باب المسجد لائذا بحماه كالحمل الذي تطارده السباع الضارية أو العصفور الذي احتوشته الصقور الجائعة ، وجلست أتوضأ فكنت كلما اسبغت الماء على عضو من أعضائي أنطفأت شعلة من الشعل المتضرمة في كياني حتى انتهيت وقد أحسست بشيء من الراحة ، وأقيمت الصلاة فوقفت في الصف ، وأقبل الامام بخطوات وئيدة خاشعة ، فكان مره بردا في قلبي وسلاما ، إنه رجل في الخمسين من عمره يقل أو يزيد قليلا نحيل الجسم خفيف شعر العارضين قد برقت في لحيته المهيبة نجوم الشيب ، يلبس قفطانا من النسيج الأبيض البسيط ، ويضع على رأسه عمامة بيضاء أين منها جلال التيجان على رءوس الأكاسرة والقياصرة . وأحرم بالصلاة وأحرمنا ، وأخذ – ياصاحبي يتلو كلام الله فما دريت ساعتها أبشر ذلك الذي يقرأ أم أنه ملك كريم ، وهذا الصوت أينبعث من الأرض أم يتنزل من السماء ، وكأني بالكلمات القرآنية تنطلق من فيه طيورا نورانية غردة لها أجنحة ترف في سماء المسجد ، وكان لقراءته وقع في النفوس كوقع قطرات الغيث في الأرض الجدباء ، فهي به مرتوية ظامئة إلى المزيد وخلت أن المسجد قد ماج بصفوف الملائكة وبها ما بنا من طرب وإيناس . قال (س) – وأنا أصغي إليه مأخوذا بما يقول –: وكان مما قرأ في صلاتنا هذه قول الله تبارك وتعالى (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**)

وقضيت الصلاة ، وانصرف المصلون إلى شئونهم وبقي الامام وبقيت أنا مشدودا إلى المسجد مستشعرا برد الراحة كاللائذ بالواحة الشجراء في متاهات الصحراء من وهج القيظ ولذع الرمضاء ، وعزمت على البقاء لصلاة العشاء ، وظللت منجذبا إلى الشيخ الامام – نضر الله وجهه – ألاحقه بنظرات الحب والاجلال وقد قام يمشي بخطوات وئيدة إلى خزانة في جدار ، وأخرج منها لفافة وجاء إلى حيث كنت أجلس في مواجهة نافذة التماسا للهواء – فقد كان الجو حارا – وقرب قلة ماء كانت في النافذة ، وجلس مني عن كثب ثم نشر اللفافة قائلا : يا أخا الاسلام هل لك في طعام فتدنو لتصيب من رزق الله ، فإني كنت صائما والوقت لا يتسع للذهاب إلى البيت والعودة قبل العشاء ، فشكرت واعتذرت بأني شبع لا حاجة بي إلى طعام ، وكنت صادقا فما مس قلبي من ابتهاج كفيل بإشباع الجائع فما الحال بمن هو شبع ، وأخذ الشيخ يأكل في تؤدة ووداعة ، وكان طعامه كسرة من الخبز وقطعة من الجبن وبضع تمرات ، ياالله أهذا طعام من خفقت لقراءته القلوب وهفت النفوس بعد صيام يوم من أيام الصيف ؟! ولكنها تقوى القلب الذي يبيت عند ربه فيطعمه ويسقيه ، ، وليس الطعام غاية الانسان في الحياة ولكنه وسيلة إلى هدف أسمى بالقدر اللازم لحفظ الكيان الجسدي لا بغية اكتناز اللحم والشحم اللذين يثقلان المرء ويقعدان به عن السمو والقيام بعظائم الأمور . وفرغ الرجل من طعامه وشرابه رافعا أكف الحمد والشكر لله الذي أنعم وأفاض ، وقام وجدد وضوءه ،

وصلى ركعتين تنفلا ثم جلس أمام المحراب على كرسي من الخشب المجرد ، وراح يسبح في تفكير عميق ـ وقد أطرق إلى الأرض قابضا على لحيته . وفي منتصف الوقت بين المغرب والعشاء أخذ المصلون يتوافدون ويأخذون أماكنهم أمام الشيخ ، فهذا موعد الدرس الذي يحرصون على تلقيه بلهفة وشغف كما تجلى في وجوههم ونظراتهم إلى الامام ، وانتظمت الحلقة أو قاربت وقد أخذت أنا مكاني منها ، وأخذ الشيخ يتحدث فسمى الله وحمده وصلى وسلم على رسوله الكريم ثم قال : صدق الله العظيم حيث يقول : (**وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**) كنت قد أعددت سورتين من قصار المفصل لقراءتهما في ركعتي المغرب الجهريتين ، وما أن انتهيت من قراءة الفاتحة في الركعة الأولى حتى أنطق الله لساني بالآيات التي سمعتموها مني والتي منها قول الحق تبارك وتعالى (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم** ...) ولا ريب أن ما جرى إنما كان لحكمة بالغة في علمه هو جل شأنه فوق العقول والافهام ، ووفق ما يريد لا ما نريد فعزمت على أن يكون درسنا الليلة تجوالاً بين ظلال تلك الآية الكريمة . وانطلق الشيخ يتحدث بكلام مشرق مضيء صادر من نفس مشرقة مضيئة ينسكب في النفوس انسكاب الألحان ، ويستقر في العقل والوجدان نابضا حيا يعمل فيها عمله . وكان مما قال في حديثه ووعته ذاكرتي قوله : هذا الوجود الرحب الفسيح الذي لا يعلم له حدوداً إلا فاطره ، والذي يموج ويصخب بالكائنات الحية ، والظواهر والمتغيرات ، المليء بالأسرار الغاص بالأخطار يعيش الانسان فيه على الأرض أعزل لا حول له ولا قوة بالقياس إلى غيره من المخلوقات ، فهو بطبيعة مادته وتكوينه هش ضعيف سرعان ما يتهافت وينهار متهشماً ، ومع غروره وصلفه فإن بعوضة تقلقه ونملة تزعجه ، وحشرة تؤذيه ، وفيروساً يرديه . أما عقله الذي يتميز به فإنه قاصر عن أن يحيط بكل الظروف المحيطة به ، كليل عن إدراك الخفايا والملابسات البعيدة عن مدى حواسه وإشعاع عقله إنما يحيا على الأرض ، ويضرب في مناكبها بين الأخطار والأهوال بمدد من السماء ، وحماية من الخالق القوي العظيم ، وتقدير من الحكيم العليم ، وإلهام منه إلى تسخير بعض ما في الطبيعة من قوى كامنة مذخورة مرهونة بمشيئته سبحانه وتعالى ، ويظل الانسان في الحياة متوازنا متناسقا معها أخذا وعطاء ما دام موصولا بالسماء بالاسباب التي مدتها بينها وبينه ، فإذا انبتّ ما بينها وبينه من أسباب انقطع مددها عنه وصار موكولا إلى نفسه ، راكنا إلى أسباب الأرض والتراب ، اختل توازنه ، واضطربت مقاييسه ، فغدا سقيم العقل والوجدان ، تعصف به الأوهام وتتخطفه مخالب الأحزان وتملأ نفسه الوحشة ، ويسكن قلبه الرعب والقلق ، ولو كان يخطر على بسط النعيم والجاه في حمى الأجناد والحراس ، ويمتلك خزائن الأرض من الذهب والفضة ، وأوديتها من الأنعام والحرث . إنه يكون كالقصر المنيف الذي هجره سكانه وانفض سماره وانقطع عنه التيار الكهربي ؛ فانطفأت مصابيحه وصار غارقا في ظلمات بعضها فوق بعض ، تخيم فيه الوحشة ، وتركض الأشباح ، وترتع الأفاعي ، ولا ينبعث

منه إلا صياح البوم ونعيب الغربان ، فهو خرب الباطن وإن كان مزخرف الظاهر . وكم نقلت إلينا وسائل الاعلام من بلاد الالحاد والكفران أنباء الانتحار ممن ركنوا إلى المادة وأخلدوا إلى الأرض ، وقطعوا حبال الصلة بينهم وبين خالقهم مع أنهم يتمتعون بالثراء ، ويتقلبون في صنوف النعيم المبتكرة ، وألوان الرفاهية المتجددة التي ابتدعها وأخرجها العلم المجرد عن روحانية السماء ونفحات خالق الوجود . ولكن ما الاسباب التي تربط الانسان بالرحمن ، وما تلك الخيوط التي يصل عبرها التيار الذي ينير الأفئدة ، ويشيع فيها السكينة والاطمئنان ، ويكشف لها الطريق في ظلماء الوجود بين المزالق والعقبات الكؤود . إنها ـ يا إخوة الاسلام ذكر الله تبارك وتعالى ، إنه الموجات التي تحمل التوجيه والالهام الالهي للانسان ليسلك طريق السلامة والنجاة في رحلة الحياة ، وما الغافل عن ذكر الله المعرض عنه إلا كالتائه الذاهل عن مصدر غذائه الحقيقي ، ومنبع ريه الذي لا ينضب ، ومنطلق الهواء الذي يتنسمه ويتردد في صدره ، إنه يعيش مبهورا ، متلاحق الأنفاس ، ضيق الصدر كأنما يصعد في السماء (**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا** ..) وهو أيضا سيء الظن جافي الطبع لا يفكر في خير ولا يسعى في مكرمة (**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**) إنه شقي منكود وإن بدا للأغرار سعيدا مجدودا ، ومضى الشيخ قائلا : أيها الاخوة ، وعلى درب الحياة الوادعة الهانئة أزيدكم نهلة من ينابيع الذكر الحكيم ، وألفتكم إلى ومضة من نوره الذي لا يخبو قال تعالى : (**الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**) قال الشيخ : وكم في كتاب الله من آيات بينات تلفتنا إلى أسباب الشفاء ، وتدلنا على ينابيع الدواء ، وكم نسمعها من قراء بل ويحفظها ويرددها الكثير منا ولكنهم يمرون عليها غافلين دون أن يفطنوا إلى ما تزخر به من كنوز :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول

ويروحون يلتمسون الدواء عند من هم في حاجة الى دواء أو يحسبون البرء والابلال فيما هو سقم ووبال . قال الصديق (س) وهنا أدركت أنني كنت طوال حياتي كمن يركض في البيداء يلتمس الرواء من السراب الخداع ، وكنت مع المال كمدمن الخمر فهي داؤه ودواؤه ، وما استفحال دائه إلا من دوائه ، وأحسست أني كنت كالنائم الذي جثم على صدره كابوس المزعجات الرهيبة حتى كاد أن يختنق فهب فزعا مرتاعا ليجد أمامه ملاك الرحمة المتمثل في الشيخ يوقفه على منبع الدواء ومبعث الضياء . وصلينا العشاء ، وخرجت من المسجد وكأني خرجت من الحمام مغتسلا نقي النفس صافي الروح ، وسرت في طريقي إلى البيت وكأني أسير على أقدام مجنحة تطير في الهواء ، وقد غمرني فيض من الشعور بالبهجة لا عهد لي به من قبل ، وكأني لم أولد إلا اليوم . فقلت صدق الله العظيم (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**).

القلق

من أمراض الحضارة الحديثة

○ ما المقصود بالقلق ؟

يقصد بالقلق : الانفعال الشديد بمواقف أو اشياء او اشخاص بغير سبب يدعو الى هذا الانفعال ـ وقد يقصد به الخوف المستمر من خطر أو ألم أو عقاب يحتمل أن يحدث وهو انفعال مركب من الخوف والألم وتوقع الشر .

والقلق ـ في الحالات الشديدة ـ يبعث على التمزق والخوف ـ وهو يحول حياة صاحبه الى حياة عاجزة ـ ويشل قدرته على التفاعل الاجتماعي والتكيف البناء ـ ذلك لان الانسان لا يستطيع ان يخرج من دائرة سلطانه عليه ـ فيصبح القلق ملحا عليه في حركاته وسكناته ـ في عمله وبيته ـ في ليله ونهاره ـ ويكون مانعا له من التركيز في التفكير ومن التخطيط ومن العمل على حل مشكلاته ـ ذلك لانه يشمل جوانب الانسان الوجدانية والسلوكية والفكرية فضلا عن تفاعلاته الاجتماعية .

فهو من **الناحية الوجدانية** : يسيطر على الشخص فتظهر عليه مشاعر الخوف والاكتئاب والشعور بالعجز عن اتخاذ قرارات حاسمة او السرعة في اتخاذ قرارات لا تنفذ .

ومن **الناحية الفكرية** : قد تحدث اضطرابات في التفكير ـ تظهر في تبني اتجاهات وافكار غير منطقية .

ومن **الناحية السلوكية** : قد يحدث التورط او الانغماس في سلوك ظاهر من

وأثره في المجتمعات الحديثة

للأستاذ / علي القاضي

الخوف والتوتر عند اتخاذ قرارات او عند اختيار موضوعات القلق .

والناس في المجتمعات الغربية ـ وبخاصة الشباب ـ يتحدثون عن القلق كظاهرة شائعة ونحن نرى الشاب ـ في الحالات الشديدة من القلق ـ تأتي اليه تغيرات فسيولوجية دون ان يدري لذلك سببا ـ جسمه يعبر عن القلق ـ حركات يديه تعبر عن القلق ـ قلبه في خفقان دائم وهو بذلك يعبر عن القلق وحين يتنفس فان تنفسه يكون سريعا وضغطه يكون مرتفعا ـ كما أن غدده الصماء يزداد افرازها ـ والى جانب هذا كله فقد ينتابه الشعور بالهبوط في المعدة ـ ويحس بالعرق البارد ـ الى غير ذلك من مظاهر القلق الشديد ـ وقد يتوقع الشاب ـ مع هذا كله الشر من كل شيء ـ وبذلك تصبح حياته جحيما لا يطاق .

على ان هناك قلقا عاديا ينتاب اكثر الناس ويحسون به عند حدوث شيء او توقع حدوث شيء ـ وهو في الظروف الطبيعية مفيد ـ لأنه يدفع الى التفكير والى التخطيط والى العمل حتى يصل الى شيء فيستقر ويهدأ .

والقلق المرضي ـ قد يكون فرديا ـ يقتصر خطره على الفرد ـ وقد يكون ظاهرة عامة في المجتمع ـ وحينئذ يكون خطرا على الافراد والجماعات ـ لأنه يفقدها السعادة الفردية والاجتماعية ـ وتكلف المجتمعات اموالا طائلة في العلاج ـ وفي الوقت نفسه ينقص الكثير من دخلها من جراء عدم استطاعة المرضى الانتاج بصفة جزئية او بصفة كلية .

ولو اخذنا مثالا للمجتمعات الغربية الحديثة ـ المجتمع السويدي ـ وهو من

المجتمعات التي يطلق عليها المجتمعات السعيدة ـ لأنها تجد كفايتها المادية من جميع النواحي ـ لوجدنا ان حوالي ٧٥٪ من المجتمع ـ في عمر التلاميذ ومن هم اكبر من ذلك يحتاجون الى تعاطي المواد الطبية المهدئة للاعصاب والحبوب المساعدة على النوم ، وان مستشفيات الامراض النفسية يدخلها في كل عام ١١٠ الف شخص ـ من بينهم ٢٢ الفا يحولون الى مستشفيات الامراض العقلية لحالتهم الخطيرة على حياة الناس ـ وان الذين ينجحون في الانتحار كل عام الفا شخص ، وان ٣٠٠ الف في السويد يدمنون الخمر حسب الاحصاءات الرسمية ـ وهؤلاء لا يصلحون لأي عمل في بلادهم ـ لذا احيلوا الى التقاعد المبكر .. ويبلغ شعب السويد ٨ ملايين نسمة ـ وعدد المتقاعد من الموظفين يبلغ المليون شخص ـ ونسبة الطلاق سنة ١٩٧٧ بلغت ٥٠٪ من نسبة الزواج ـ وحالات الاجهاض كانت عام ١٩٦٦ ٢٥٠٠ و٧٥ حالة .

ولو اخذنا المجتمع الامريكي مثالا آخر ـ وهو من المجتمعات الغنية ـ في دراسة مسحية أجريت على خمسة آلاف امريكي لوجدنا ان النتيجة كانت كالآتي :

- ٤٪ من العينة يعانون من الاضطرابات المزمنة .
- ١١٪ من العينة يشعرون بالاكتئاب وعدم السعادة
- ١٩٪ من العينة تتملكهم مخاوف من الانهيار العصبي بين لحظة واخرى .
- ٢٣٪ من العينة صادفتهم مشكلات احتاجت لتدخل اخصائيين نفسانيين او اجتماعيين وان النساء كن اكثر عرضة للاصابة بالامراض النفسية من الرجال وان كبار السن يتميزون في جوانب معينة بالاضطرابات العصبية كالاكتئاب

لقد انتشر **القلق** في المجتمعات الغربية المعاصرة وكان من نتائجه المباشرة :ـ

أ ـ الامراض الجلدية :

فقد اثبت العلماء ان القلق والتوتر الشديد من الاسباب الرئيسة التي تؤثر على حياة الانسان النفسية ، والتي تنعكس بعد ذلك على شكل امراض عضوية تؤثر على مختلف اجهزة الجسم ـ فتظهر على الجهاز التنفسي مثلا في صورة تنهدات متكررة او نهجان او سرعة في التنفس ـ وتظهر على شكل آلام في الصدر فوق منطقة القلب تماما ، او تسبب ازديادا في سرعة دقات القلب ، او ارتفاعا في ضغط الدم ، كما قد تصيب الجهاز الهضمي ـ فيصاب المريض بسوء الهضم او الغثيان ، او يجد صعوبة في البلع ، او يصاب بالاسهال او الامساك ـ وقد تظهر آثار ذلك على الجهاز البولي في صورة تبول او احتباس بول ـ ويظهر تأثيرها واضحا في الأمراض الجلدية يقول الدكتور محسن سليمان الاستاذ المساعد للامراض الجلدية بكلية طب قصر العيني « ان معظم الامراض الجلدية تتأثر الى حد كبير بالحالة النفسية للمريض فتزداد شدتها ومن امثلة ذلك **الثعلبة والبهاق والصدفية** وبعض تقرجات الفم والاكزيما والارتكاريا والتهاب البشرة الدهنية .

ب ـ المخدرات : ويهرب القلقون ايضا بوساطة تعاطي المخدرات ـ واذا اخذنا مجتمعا غنيا متحضرا ـ كمجتمع الولايات المتحدة الامريكية ـ فاننا نلاحظ ـ حسب الدراسات التي اجرتها مؤسسة مكافحة المخدرات الامريكية ان عدد المدمنين بلغ ١٩,٣٠٠ مليون امريكي ـ وبلغ عدد الذين يتعاطونها ٣٤ مليون امريكي ومجلة هاي تايمز وصفحاتها ١٧٨ تتخصص كلها في المخدرات وتوزع ٧٢٥ الف نسخة ، و٤٠٪ من صفحاتها مخصصة للاعلان عن اجود انواع المخدرات وافضلها .. وقال السناتور جيمس ايسلاند : رئيس جمعية الأمن الداخلي « ان اكبر كارثة تهدد الشعب الامريكي حاليا تتجلى في وباء التحشيش الذي يجتاحنا ـ ان الشعب الامريكي اليوم اصبح شعبا معتوها » .

وقد نشر مكتب التحقيقات الفيدرالي احصاءات تدل على سبب انتشار هذا الوباء .. ففي عام ١٩٧٠ اوقف ٤١٦ الف امريكي بتهمة حيازة المخدرات وفي عام ١٩٧٤ اوقف ٦٤٣ الف امريكي بالتهمة نفسها ، ٥٢٪ منهم لا يتجاوز عمرهم الحادية والعشرين .

وقالت استاذة امريكية : ان من الظواهر الاجتماعية المقلقة التي تنمو بسرعة داخل الاسرة الامريكية تزايد شعور الآباء والأمهات بأن ابناءهم لا يقدرون فضلهم ، وتزايد شعور الابناء بأن اباءهم وامهاتهم لا يفعلون شيئا يذكر .. وان الاسرة الامريكية بدأ يتسلل اليها هذا الشعار : « لا تعط الا القليل ، ولا تنتظر الا القليل » .

وقالت الاستاذة الامريكية : لابد من ادخال الاجيال المقبلة في نطاق حماية حقوق الانسان وهذه الضرورة لها مصدران رئيسان :ـ

١ ـ القيم المطلقة الراسخة من الأديان السماوية .

٢ ـ انعكاسات الثورة العلمية والتكنولوجية .

ج ـ الانتحار : بل ان القلق احيانا يدفع الانسان الى الانتحار حتى يتخلص من الحاحه عليه ـ واذا اخذنا المجتمع الامريكي ايضا مثالا لذلك ـ فان الدكتور ميتشيل بك : طبيب رعاية الشباب في مركز مقاومة الانتحار في لوس انجلوس يقول « ان ما يقرب من خمسة آلاف امريكي دون الرابعة والعشرين من العمر انتحروا عام ١٩٧٧ ـ وقد حاول مائة الف اخرون ان يفعلوا ذلك ، بينما فكر ثلاثمائة الف في الانتحار » .

وقد ارتفعت نسبة الانتحار بين الشباب ثلاثة اضعافها في العشرين سنة الأخيرة .. والخبراء يدرجون الأسباب في النقاط الآتية :ـ

- الشعور بالخيبة والقصور في الوصول الى ما يأمله الآباء والأصدقاء وبخاصة مع وجود الضغوط والمحرضين على النجاح .
- الشعور بعدم الاستقرار الناتج عن كثرة تحركات وتنقلات الاسرة .
- مشكلة الطلاق في العائلة .

● القلق الناتج عن التفكير الدائم في احتمال عدم الحصول على عمل بعد الدراسة .
● شعور الشباب بأنه ليس هناك من يفهم مشكلاتهم على حقيقتها .
● الاسباب الخاصة كفقد صديق او صديقة ، او الرسوب في الدراسة ، او السقوط في امتحان قيادة السيارات .

ويرى الدكتور سوانسون : ان الحرية المفرطة المعطاة لهؤلاء الشباب هي سبب الانتحار . فيقول : « انا لا اريد ان ابدو بصورة الرجل الرجعي ـ ولكن اقولها بصراحة : ان هذا الشباب بحاجة الى من يرعاه ويشعره بأن هناك من يريده ويحتاج اليه » .

○ اسباب القلق :

ولكي نعالج القلق المرضي فلابد ان نعرف اسبابه حتى يمكن ان نتلافاها قبل وقوع المرض وان نعالجها بعد وقوعه والاسباب الاساسية للقلق في المجتمعات المعاصرة هي :ـ

★ فقدان الايمان :

في المجتمعات المعاصرة فلسفات متعددة ـ بعضها مادي إلحادي يرى ان المادة هي كل شيء وينظر الى العقل الانساني باعتباره أسمى انتاج في المادة ـ وهناك فلسفات تنتهي الى الالحاد ـ اذ انها لا ترى لحياة الانسان معنى ولا ترى لوجوده غاية ، وتؤكد على أن حياة الانسان مأساة ـ وهذه المعاني تشيع في الكتابات الأدبية في اوروبا وهي فلسفات تشاؤمية ـ كالفلسفة الوجودية ـ فهي تشيع في نفس الانسان التشاؤم وتجعل حياته بلا معنى ـ والوجودي يرى ان الانتحار فعل وجودي ممتاز لأنه يخلصه من الحياة التي لا فائدة منها ولا اهمية لها ـ ومثل الفلسفات التي تعتد بالعلوم والمنهج العلمي وحده وتنكر الغيبيات ـ وهذه الفلسفات منتشرة في مجتمعاتنا المعاصرة فاذا ما شاعت في مجتمع ما احدثت قلقا مؤلما في نفس الانسان ـ ذلك لان الانسان الماركسي مثلا يعيش مطحونا من الناحية النفسية لانه يستشعر القلق والحزن مهما بدا عليه في الظاهر من تكلف ورضا بالنظام او الفلسفة التي ينتمي اليها ـ وقد يرى ان الحزب هو كل شيء فيتعامل معه وكأنه إله ـ وهو إله لا يحس نحوه بالمحبة او التعاطف ـ بل انه يستشعر دائما ـ مع وجوده معه ـ الخوف والقلق المستمر .

« وفرويد » ينظر الى الانسان نظرة غير طبيعية ـ ويرى ان حياة الانسان ضياع وان الانسان مشروع فاشل ـ وهذه الأفكار تسرب بعضها الى عالمنا

الاسلامي وبخاصة بين طوائف الشباب التي اصبح بعضها يعاني من التمزق النفسي .

★ صراعات الحياة :

تشاهد المدنية الغربية الوانا من الطلبات المادية والوانا من التطلعات التي لا تتلاءم مع الامكانات المتنوعة والوانا من الصراعات بين الناس بعضهم وبعض ـ بل واحيانا بين الانسان ونفسه ـ وهذه الاشياء تفقد الانسان توازنه وتجعله في قلق مستمر ، وهذا هو الذي جعل العالم النفسي « كارل جونج » يترك المدينة وينتقل الى بيت ريفي في « بولنجن » بسويسرا ليس فيه شيء من مظاهر المدنية الحديثة ـ ولكن فيه الهدوء المطلوب والبعد عن الصراعات فيقول : « اني اعيش هنا بلا كهرباء واشعل الموقد والمدفأة بنفسي وفي المساء اضيء المصابيح القديمة ـ كما انه لا توجد مياه جارية ـ ولهذا استخدم المضخة لاخراج الماء من البئر واقطع الاخشاب لكي اطهو الطعام ـ وهذه الأعمال البسيطة تجعل الانسان بسيطا ـ وما اصعب ان يكون الانسان بسيطا من يدري لعل هذا هو سر العباقرة » .

وقد نشأ عن هذا تعبير الغربة « وهو تعبير عن حالة منتشرة في المجتمعات التي تعيش في رفاهية المادية ـ وسبب ذلك الحياة المصطنعة التي يحياها الانسان في المدن .. ومن الغربة الضيق الاجتماعي والثقافي الذي يؤثر حتى على الذين يشعرون بانسحاق فرديتهم كالمقاييس الجماعية التي لا تسمح لهم بابراز شخصيتهم وتوكيد ذاتيتهم وهويتهم .

وقد تنبه الى هذا الاستاذ الامريكي « رينيه دولو » الحائز على جائزة نوبل ـ فقال في كتابه انسانية الانسان « تحت عنوان عصر القلق : « ان المنجزات التكنولوجية والاجتماعية نشرت الرفاهية والاقتصادية وزادت الرخاء ـ ولكنها لم تزد كثيرا في السعادة وفي معنى الحياة ـ ومن التناقض ان يكون عصر التكنولوجيا هو عصر الامراض المزمنة والقلق واليأس واكبر مشكلة جادة في الحياة المعاصرة ـ هي في الغالب شعور الانسان ان الحياة فقدت معناها ـ والانسان العصري قلق لأن عالم التكنولوجيا الذي يشكل محيطه المباشر والذي فصله عن عالم الطبيعة ـ فشل في توفير حاجات الانسان الاساسية التي لم تتغير ولم تتبدل ، ـ ويشبه انسان العصر ـ من نواح كثيرة ـ الحيوان البري الذي يقضي حياته في حديقة الحيوان فهو محروم من المثيرات الطبيعية الاساسية للعديد من وظائفه الفكرية والجسمية ، وانسان اليوم معزول ايضا عن اعماق ذاته ـ والرجل المطلق الذي يتمثله المتأملون هو شبه انسان ـ فهو محروم من صفاته الانسانية ومن المنبهات اللازمة لسلامته الجسمية والعقلية » .

ولذلك فان المشاعر الدينية والتقاليد الاجتماعية القديمة تنخرها المعلومات العلمية ونتيجة لذلك انتشر تعبير « مات الاله » والاله كان يرمز لوحدة الكون

بمجموعه الخالق والمخلوقات ـ وبذلك اصبح الانسان كسفينة بلا مرساة .

○ العلاج

ترى ما علاج القلق ؟

ان علاج **القلق** يكمن في **عودة الايمان الى النفوس** ـ الايمان بالله الواحد الأحد الذي يجعل القلب متعلقا بخالقه ـ فيحس معنى الحياة ـ فالله خلقه والله كفل له الرزق والله جعله خليفة له في الأرض والله رسم له الاسلوب الذي يسير عليه في الأرض والله هو القوة الكبرى التي يلجأ اليها الانسان في كل وقت ـ وبذلك يحس بالأمن كما يحس بالسعادة والراحة والهدوء ـ فالايمان بالله تعالى وقاية من القلق وعاصم من الحيرة ـ والمؤمن يستشعر التوافق النفسي بينه وبين نفسه وبينه وبين ربه : (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد/٢٨ .

والايمان يعصم الانسان من ان ينظر الى الحياة على انها نعيم فقط فيستكثر من اسباب النعيم التي يراها ـ فيتعلق قلبه بهذه الاشياء ـ بل انه يرى ـ ان الحياة الدنيا امرها هين وان الجزاء الأوفى في الآخرة لأنها دار الخلود .

والتمسك بالقيم الدينية يبعث في النفس البشرية الحب للكون كله ما فيه ومن فيه ـ فالحب البشري وسيلة لاكتساب الكنز الذي وضعه الله داخل الانسان ـ ويتمثل في مواهب الانسان ورقته وهي باقة الزهور التي تولد من دموع الفرح الجميل النابع من الحب ؛ قال فان جوخ : « ان الحب يشبه تماما المصباح الذي يشع منه الضوء ـ ولقد كان المصباح موجودا قبل اشعاله ـ ولكنه لم يكن يضيء ـ وها هوذا الضوء ينبعث منه الان ـ وهذا هو الشأن في الحب يكون الانسان منطفئا من الداخل ـ فاذا احب اضاء بالاف المعاني الجديدة وتغيرت شخصيته وتحول من حال الى حال ...

★ فاذا كان جبانا صار شجاعا ..
★ واذا كان كسولا اسرع اليه النشاط .
★ واذا كان مهموما ملأ الفرح قلبه .
★ واذا كان فقيرا احس بأنه اغنى الناس .

★ الحب يظهر المواهب الرقيقة في المخلوق .
★ ويضيء قلبه فيهتدي الانسان بنور البصيرة .

فالتدين الواعي ـ هو الذي يرتبط فيه الانسان بربه برباط وثيق ، ويتفق عمله مع هذا الايمان فيمتلىء قلبه بالحب لهذا الكون ما فيه ومن فيه ـ وبذلك لا يجد الانسان في نفسه قلقا ولا حيرة ـ بل يعيش هادىء النفس قرير العين سعيدا في كل لحظة من لحظاته مؤديا لواجبه منتظرا الجزاء من ربه .

وثيقة

البرنامج السياسي الفلسطيني

اختتم المجلس الوطني الفلسطيني مساء ٢٢ / ٢ /٨٣ في العاصمة الجزائرية اعمال دورته السادسة عشرة بإصدار الأعلان السياسي الذي يشكل برنامج عمل الثورة الفلسطينية للمرحلة المقبلة ، وتضمن الاعلان الصادر عن المجلس القرارات التالية :

على الصعيد الفلسطيني :

الوحدة الوطنية الفلسطينية :

جسدت معركة الصمود والبطولة في لبنان وبيروت الوحدة الوطنية الفلسطينية بأروع صورها وانطلاقا من هذه الخبرة النضالية الفلسطينية الرائدة :

يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على تعزيز الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة في اطار م . ت . ف . والعمل على الارتقاء بصيغ العلاقات التنظيمية في جميع مؤسسات وهيئات المنظمة على قاعدة العمل الجبهوي والقيادة الجماعية وعلى اساس البرنامج التنظيمي والسياسي الذي اقرته الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني .

القرار الوطني المستقل :

يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على استمرار التمسك بالقرار الوطني الفلسطيني المستقل وصيانته ومقاومة الضغوط التي تستهدف النيل من هذه الاستقلالية من أي جهة اتت .

الكفاح المسلح الفلسطيني :
يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على ضرورة تطوير وتصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني وحق قوات الثورة الفلسطينية بممارسة العمل العسكري ضد العدو الصهيوني من جميع الجبهات العربية .
كما يؤكد على ضرورة توحيد قوات الثورة الفلسطينية في اطار جيش تحرير وطني موحد .

الوطن المحتل :
١ ـ يحيي المجلس الوطني جماهيرنا الصامدة في الارض المحتلة في وجه الاحتلال والاستيطان والاقتلاع ويحيي اجماعها الوطني الشامل والتفافها الكامل من حول م . ت . ف . الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج .
٢ ـ ان المجلس الوطني الفلسطيني يدين ويشجب جميع المحاولات الاسرائيلية والاميركية المشبوهة الرامية الى ضرب الاجماع الوطني الفلسطيني ويدعو جماهير شعبنا الى مقاومتها والتصدي لها .

٣ ـ يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على تعزيز وحدة المؤسسات الوطنية والاجتماعية والنقابية والجماهيرية وعلى ضرورة العمل لبناء الجبهة الوطنية في الداخل وتطويرها .

٤ ـ يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على ضرورة مضاعفة الجهود من أجل تعزيز صمود شعبنا في داخل الوطن المحتل .
وتقديم كافة مستلزمات هذا الصمود لوضعحد للتهجير والحفاظ على الأرض وتطوير الاقتصاد الوطني .

٥ ـ يحيي المجلس الوطني صمود شعبنا داخل المناطق المحتلة من أجل تأكيد هويته الوطنية باعتباره جزءا لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني كما يؤكد المجلس على ضرورة توفير كل سبل الدعم له وتعزيز ووحدة هيئاته الوطنية .
٦ ـ يوجه المجلس تحية التقدير والاعتزاز الى الأسرى والمعتقلين في سجون العدو داخل الوطن المحتل وفي الجنوب اللبناني .
شعبنا في الشتات :

يؤكد المجلس الوطني على ضرورة تعبئة طاقات شعبنا في جميع مناطق تواجده خارج أرضنا المحتلة وتعزيز التفافه حول منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لشعبنا ويوصي اللجنة التنفيذية بالعمل على المحافظة على مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية والدفاع عن حقوقهم المكتسبة وحرياتهم الاساسية وامنهم تأكيدا للقرار رقم ١٤ من الاعلان السياسي الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة عشرة المنعقدة بتاريخ ١٢ ـ ٣ ـ ٧٧ ويدعو المجلس الوطني الفلسطيني اللجنة التنفيذية لدراسة التحرك في هذا الاطار بما يتلاءم ومصلحة قضية فلسطين والنضال الوطني الفلسطيني .

على الصعيد العربي :

- أولا ، العلاقات العربية :

١ - تعميق التلاحم بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية في الوطن العربي بأكمله وذلك من أجل التصدي الفعال للمؤامرات الامبريالية والصهيونية والمشاريع التصفوية وخاصة اتفاقيات كمب دايفيد وانهاء الاحتلال للأراضي العربية المحتلة .

٢ - تقوم العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية والدول العربية على الاسس التالية :

١ - الالتزام بقضايا النضال العربي وفي طليعتها قضية فلسطين والنضال من أجلها .

٢ - التمسك بحقوق الشعب الفلسطيني بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وهى الحقوق التي أكدتها قرارات القمم العربية .

٣ - الحرص على وحدانية التمثيل والوحدة الوطنية واحترام القرار الفلسطيني المستقل .

٤ - رفض كافة المشاريع الرامية الى المساس بحق منظمة التحرير الفلسطينية في التمثيل الوحيد للشعب الفلسطيني وعبر أية صيغة كالتفويض والانابة أو المشاريع في حق التمثيل .

٥ - يدعو المجلس الوطني الفلسطيني الى تعزيز التضامن العربي على قاعدة قرارات مؤتمرات القمة العربية وعلى ضوء الاسس السابق ذكرها .

ثانيا : مقررات قمة فاس :

المشروع العربي للسلام

١ - يعتبر المجلس الوطني الفلسطيني مقررات قمة فاس الحد الادنى للتحرك السياسي للدول العربية الذي يجب أن يتكامل مع العمل العسكري بكل مستلزماته من أجل تعديل ميزان القوى لصالح النضال والحقوق الفلسطينية العربية .

ويؤكد المجلس ان فهمه لهذه القرارات لا يتناقض مع الالتزام بالبرنامج السياسي وقرارات المجلس الوطني .

ثالثا : الاردن ..

أ - التأكيد على العلاقات الخاصة والمميزة التي تربط بين الشعبين الاردني والفلسطيني وضرورة العمل على تطويرها بما يلزم والمصلحة القومية للشعبين والامة العربية في سبيل احقاق الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني بما فيها حق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

ب - التمسك بقرارات المجلس الوطني الخاصة بالعلاقات مع الاردن والانطلاق من أن منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها ويرى المجلس الوطني الفلسطيني أن تقوم العلاقة المستقبلية مع الاردن على أسس كونفدرالية بين دولتين مستقلتين .

رابعا : لبنان ..

١ ـ تعميق العلاقات مع الشعب اللبناني وقواه الوطنية وتقديم الدعم والاسناد لها في نضالها الباسل لمقاومة الاحتلال الصهيوني وأدواته .

٢ ـ تكون في مقدمة المهمات الراهنة للثورة الفلسطينية المساهمة مع الجماهير اللبنانية وقواها الوطنية والديمقراطية لمحاربة الاحتلال الصهيوني .

٣ ـ يدعو المجلس اللجنة التنفيذية للعمل من أجل اجراء المباحثات بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة اللبنانية لتحقيق أمن وسلامة المواطنين الفلسطينيين المقيمين في لبنان .وضمان حقوقهم في الاقامة والتنقل والعمل السياسي والاجتماعي .

٤ ـ العمل على ايقاف الاعتقالات الكيفية الجماعية والفردية القائمة على أساس سياسي والافراج عن المعتقلين في سجون السلطة اللبنانية .

خامسا : العلاقة مع سوريا ..

تقوم العلاقة مع سوريا الشقيقة انطلاقا من قرارات المجلس الوطني في دوراته الختامية التي تؤكد أهمية العلاقة الاستراتيجية بين منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا لخدمة الاهداف النضالية والقومية ولمواجهة العدو الامبريالي والصهيوني باعتبار أن منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا خط المواجهة الامامي أمام الخطر المشترك .

سادسا : جبهة الصمود والتصدي

يكلف المجلس الوطني الفلسطيني اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بعقد مباحثات بين أطراف الجبهة القومية للصمود والتصدي لبحث كيفية احيائها على أسس سليمة واضحة وفعالة أنطلاقا من أن الجبهة لم تكن بمستوى المهمات المطلوبة منها اثناء الغزو الصهيوني للبنان .

سابعا : مصر ..

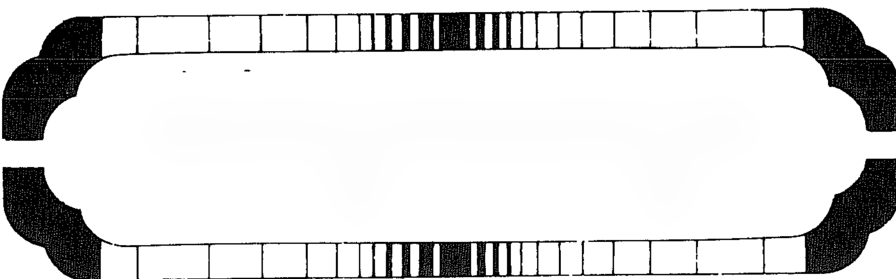
يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني رفضه لاتفاقيات كمب دايفيد وما يرتبط بها من مشاريع الحكم الذاتي والادارة المدنية .

وانطلاقا من الايمان الراسخ بدور مصر وشعبها العظيم في النضال العربي فان المجلس يؤكد على الوقوف بجانب نضال الشعب المصري وقواه الوطنية لانهاء سياسة كمب دايفيد حتى تعود مصر الى موقعها النضالي في قلب امتنا العربية ويدعو المجلس اللجنة التنفيذية الى تطوير علاقات منظمة التحرير الفلسطينية مع القوى الوطنية الديمقراطية والشعبية المصرية التي تكافح ضد التطبيع والعلاقات مع العدوان الصهيوني بمختلف اشكالها باعتبار ذلك يعبر عن المصالح الاساسية للامة العربية ويدعم نضال شعبنا الفلسطيني وحقوقه الوطنية ويدعو المجلس اللجنة التنفيذية الى تحديد العلاقة مع النظام المصري على أساس تخليها عن سياسة كمب دايفيد .

ثامنا : الحرب العراقية ـ الايرانية

يقدر المجلس الوطني الفلسطيني الجهود التي بذلتها اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لانهاء الحرب العراقية ـ الايرانية من خلال لجنتي دول عدم الانحياز والدول الاسلامية ويدعو المجلس اللجنة التنفيذية لمواصلة الجهود لانهاء هذه الحرب بعد أن أعلن العراق سحب قواته من الاراضي الايرانية استجابة لنداء الثورة الفلسطينية ولحشد كل الطاقات لتحرير فلسطين .

عن جريدة القبس الكويتية



أغلب الظن أن عام ١٩٨٣ سيكون عاما شديد الوطأة على الشعوب الضعيفة . فبداياته توحي بأن المعضلات التي تعاني منها هذه الشعوب تزداد عسرا ، وبأن الحلول التي تستدرج اليها هذه الشعوب ليست إلا ألوانا من التخدير ، هدفها أن تتعود هذه الشعوب تحمل الضربات وتسمي ذلك ضبطا للنفس ، وتتعود التراجع عن حقوقها شيئا فشيئا وتسمي ذلك كياسة ، وتألف تقبيل السكين التي تذبحها وتزعم ذلك حذقا وسياسة !

ومن سوء حظ المسلمين أنهم « مصنفون » في عداد الشعوب الضعيفة ، وعلى ذلك ، إذا استمر العام ٨٣ على هذا المنوال ، فلن يكون عجبا أن تمتلىء الصحف ووسائل الاعلام الأخرى بأخبارهم : من مذابح جماعية يباد فيها الآلاف منهم ، وهجرات جماعية يهرب فيها الناجون بما تبقى من أرواحهم ، ونكبات اقتصادية يتحملون فيها تبعات الجشع المسعور في أمريكا والغرب ، وتهديدات أمنية تحشرهم فيها صراعات القوى العظمى .. إلى ألوان أخرى من البلاء كثيرة .

وما نحسب أحدا ممن يتابعون الأخبار أو يقرؤون الصحف العربية والعالمية يمكن أن يصف كلامنا هذا بالتشاؤم أو المبالغة . ففي الأسابيع القليلة الماضية احتلت عناوين الصحف أخبار المذابح المروعة في إقليم آسام بالهند حيث لقي الآلاف من المسلمين مصارعهم ، وشرد عشرات الآلاف . وبدأت نذر حرب الأسعار بين الدول المنتجة للنفط وأخذت القوتان العظميان في استعراض العضلات على أراضي المسلمين وفي مياههم ، فأعادت صواريخ سام ٥ ذكرى أزمة مشابهة للصواريخ في البقاع منذ عامين . واستمرت إسرائيل في حملات القمع الوحشي ضد المسلمين في جنوبي لبنان وفي فلسطين المحتلين ... والحقيقة أن من الصعب أن نقوم بجولة في بلدان المسلمين دون أن تستوقفنا هناك ضروب من القهر والعسف والارهاب ، مما يعسر إحصاؤه في مثل هذه الأسطر القليلة .

مذابح آسام ○

لم يتمكن المراسلون الصحفيون من تحديد دقيق لعدد الضحايا المذبوحين من المسلمين ، ولكنهم يجمعون على أن العدد بالآلاف ، وأن معظمهم من النساء والأطفال ، وأن حوالي « ٥٠ » قرية مسلمة - رواية النيوزويك في الأسبوع الثالث من جمادى الأولى - قد تم إحراقها .

ولقد بدأت هذه الهجمات الوحشية على المسلمين في يوم الجمعة ٥ جمادى الأولى واستمرت أكثر من ثلاثة أسابيع .

وقد عرضت المجلة المشار اليها وصفا موجزا للحدث جاء فيه :

« الهندوس يصطادون المسلمين كالأرانب في آسام . في ولاية اسام الواقعة في شمال شرقي الهند حمل عشرة الاف هندوسي بنادقهم واقواسهمورماحهم واجتاحوا خمسين قرية مسلمة ، واحرقوا الاكواخ ، وطاردوا القرويين داخل حقول الذرة ، واصطادوهم مثل

الارانب ، وقتلوا على الاغلب النساء والاطفال . واستمرت العملية ثماني ساعات . عندما وصلت الشرطة اخيرا في المساء وجدت نسورا سمينة جاثمة بين الاشجار وقلة من الناجين المصابين بالدوار ممن وجدوا اماكن اختبأوا فيها . وبلغ مجموع القتلى ثلاثة الاف تقريبا ، وما يزال العدد يرتفع بمعدل ٣٠ عملية قتل يوميا وارغم المحرضون ٢٤ ألف بنغالي على النزوح الى الولايات المجاورة . »

وفي مرحلة مبكرة من الأحداث ذكرت تقارير عدة لوكالات الأنباء تفاصيل أخرى تزيد الصورة المفجعة وضوحا . تقول التقارير :

ذكرت الأنباء ان ما يصل الى ١٠٠٠ شخص من المهاجرين المسلمين بصفة رئيسية الذين ينحدرون من اصل بنغالي قد ذبحوا خلال نهاية الاسبوع الحالي وجاء في محصلة غير رسمية ان عدد القتلى في هذه المذبحة قد يصل الى اربعة الاف شخص .
وقد وصلت السيدة غاندي الى اسام بينما مازال يجري تجميع الجثث التي خلفها اسبوع من حوادث القتل من اجل دفنها .
وقد تم يوم الجمعة وحده قتل اكثر من ٥٠٠ مهاجر مسلم معظمهم من النساء والاطفال في منطقة ناوجونج الوعرة في وسط اسام . غير ان انباء صحفية قالت ان ما يصل الى ١,٠٠٠ شخص قد قتلهم رجال القبائل مستخدمين الفؤوس والرماح والاقواس والسهام والبنادق القديمة . وقد ارسلت قوات اضافية الى المنطقة حيث يتلقى مئات الجرحى والمشردين الرعاية في معسكرات اغاثة خاصة .
وقد جرت اعمال القتل التي خلفت عددا من الجثث المبتورة الرأس والمقطعة إربا إربا و ١٦ قرية محترقة في منطقة ناوجونج اثناء انتخابات دامت اسبوعا من اجل اختيار جمعية تشريعية محلية مؤلفة من ٣٦ مقعدا .
وصرح مسؤول عن عمليات الانقاذ لوكالة فرانس بريس اننا نكتشف جثثا في كل القرى ولا نعلم متى ولا اين سننتهي من احصاء العدد . ومازال المسؤولون بعد ثلاثة ايام من المذبحة يرفضون اصدار بيان محدد بشأن عدد الضحايا . وتحمل الجثث الموضوعة على جوانب الطريق على سيارات نقل وتنقل الى قبور جماعية . وقد اتضح حجم المذبحة التي ارتكبها يومي الجمعة والسبت الماضيين اعضاء القبائل ضد القرى التي يسكنها المهاجرون المسلمون ذوو الاصل البنغالي مع وصول الصحفيين وفرق الانقاذ .
وقد لاحظ أحد مراسلي وكالة فرانس بريس الذي زار هذه المناطق ان المسؤولين عن الانقاذ لم يستطيعوا الوصول سوى الى نصف القرى التي ارتكبت فيها المذابح .
ويرى المسؤولون ان تكوين فكرة نهائية عن اهوال المذبحة لن يتم قبل ثلاثة ايام .

والسبب الظاهري الذي رددته معظم الصحف التي نقلت أنباء المجزرة هو أن الحكومة الهندية لم تحذف من قوائم انتخابات المجلس التشريعي لولاية آسام أسماء المهاجرين المسلمين من بنغلادش الذين استوطنوا منذ حوالي أربعين عاما في آسام ، وذلك لأن حزب انديرا غاندي المتهمين على الحكومة الحالية يتوقع أن يكسب أصوات كثير من الناخبين المسلمين . بيد أن عنف المجازر ووحشيتها ومداها العريض يعزز رأي المحللين الذين أكدوا على أن السبب يعود الى جذور حضارية دينية .
أما عن موقف المسؤولين في الحكومة الهندية فقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز في الأسبوع الثاني من جمادى الأولى مقالا جاء فيه :

الملاحظ ، انه لم يقم حكم جدي على هذه الاحداث ، اذ لم تجر تحقيقات قضائية فيها ، ولا طرحت المعارضة هناك طلبا بوجوب استقالة حكومة انديرا غاندي .
في الحقيقة ، قال المراسلون الذين تم الاتصال بهم هاتفيا في عاصمة الولاية ـ غوهاتي ـ ان كل الاطراف المنخرطة في النزاع ، حاولوا تحاشي المسؤولية ، كما توقفوا عن توجيه اللوم بعضهم الى بعض ازاء موجة العنف الشديد التي استمرت اكثر من ثلاثة أسابيع .
ولعل إحجام المعارضة عن توجيه النقد العنيف لحكومة غاندي والتزامها بضبط الاعصاب ، خلال الايام الاخيرة ، مرده ، كما قال احد الديبلوماسيين من دولة اسيوية بأن جميع الايدي ، حول احداث اسام ، ملطخة بالدم . واوضح رأيه هذا بالقول ، انه اذا كان إصرار السيدة غاندي على اجراء الانتخابات خطوة مثيرة للغضب ، فان اصرار المعارضة على تأييد ودعم الحركة بقيادة الطلاب ادى بدوره ، ولو بصورة غير مباشرة ، الى هذه المجازر .

وعن أوضاع المسلمين في آسام نشرت صحيفة وول سترايت جورنال مقالا في الأسبوع الثاني من جمادى الأولى جاء فيه :

هؤلاء المهاجرون الذين غالبا ما عملوا في الاعمال التي تتطلب جهدا ومشقة ، واسلافهم البنغاليون الذين جاءوا من المناطق التي باتت تعرف حديثا بدولة بنغلادش وولاية البنغال الغربي الهندية ، انتشروا في منطقة واسعة على جانبي وادي اسام . واشتغلوا كعمال زراعة في البداية الى ان تمكنوا من الحصول على مناطق خاصة بهم فاستقروا فيها وأصبحوا يشكلون جزءا مهما في الحياة الاقتصادية للمنطقة .
والتقارير الاحصائية تشير الى أن ما يقارب المليون مهاجر قد جاءوا الى هذه الولاية من البنغال ما بين عامي ١٩١١ و ١٩٤١ حين كانت البنغال ولاية واحدة . واستقر هؤلاء المهاجرون في المناطق غير المأهولة أو غير المستثمرة . وحولوها الى مناطق تنتج الارز بكميات وفيرة . ونتيجة لذلك تمكنوا من شراء الأراضي من ملاكها الاساميين .
وتزايد ثروة المسلمين في اسام الناجم عن تقدمهم في مجال زراعة الارز أعطاهم قوة سياسية ، وانتخب عدد منهم في المجلس التشريعي للولاية ، ويقدر عدد سكان ولاية اسام رسميا بحوالي عشرين مليون نسمة . وحسب اخر احصاء فان في الولاية حوالي ٣,٥ مليون مسلم معظمهم من المهاجرين .

○ اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني ○

واجه المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة عشرة التي عقدت في الجزائر في شباط الماضي ـ واجه وضعا حرجا ، نظرا للتطورات الأخيرة التي نجمت عن الغزوالصهيوني للبنان على الصعد العسكرية والسياسية . وعبرت عن هذا الموقف الحرج لفظة « لعم » التي أطلقها ياسر عرفات جمعا بين لا ونعم . وقد صورت صعوبة الموقف الفلسطيني صحيفة التايمز البريطانية في مقال لها قبيل انعقاد المؤتمر جاء فيه :

ان مشكلة عرفات في النهاية ذات حدين . فاذا رفض عرفات التسوية فان امكانية الحصول على وطن فلسطيني تصبح ابعد من ذي قبل . واذا وافق بدون الحصول على تأييد كل منظمة التحرير الفلسطينية ، فانه لن يتمكن من الوفاء بالوعود التي ربما

يقطعها على نفسه ، ولا يمكن لا لاسرائيل ولا للولايات المتحدة ، ولا حتى للاردن ان تعتبره بعد ذلك زعيما مطلقا للمنظمة .

وقد وصفت القرارات التي صدرت عن دورة المجلس بأنها مواربة ، إذ حاولت الجمع بين عدد من الأضداد ، والحفاظ على أكبر قدر ممكن من عوامل التوازن الحرج والانسجام بين جملة من المتغايرات ، وقد عبر عن ذلك بترك الباب مواربا : لا مغلقا ولا مفتوحا ! ولقد تناول المجلس الوطني الفلسطيني في دورته عددا من القضايا الراهنة : على الصعيد الفلسطيني والعربي والدولي ، وشملت مناقشاته مشروع ريغان والعلاقة مع الأردن . ونكتفي بالاشارة الى نص المقررات الصادرة عن المجلس ، المنشورة في هذا العدد من « الوعي الاسلامي » ، فهي (واضحة) في دلالاتها على ما وصف بأنه (غموض) في الموقف الفلسطيني . والملاحظ أن عددا من الصحف العربية والعالمية عنيت بالملابسات التي أحاطت بدورة المجلس ، وبصعوبة الموقف الفلسطيني ، عندما عمدت إلى تحليل المقررات الصادرة عن المجلس .

كتبت صحيفة الوطن الكويتية في ٣٠ ربيع الثاني مقالا بعنوان (هموم فلسطينية) جاء فيه :

لابد ان يستوقفنا الشعار الذي اختير لاجتماع المجلس الوطني الفلسطيني ، وهو : « دورة القرار الفلسطيني المستقل » . وهذا الشعار الذي يبدو واضحا في اكثر من بند على جدول الاعمال جاء لمعالجة علاقة القرار الفلسطيني بالانظمة العربية . والشعار تعبير مخفف عن احد مآزق الثورة الفلسطينية ، التي تتمثل في محاولة الانظمة العربية التدخل في السياسات الفلسطينية ، وفرض سياساتها من خلال اساليب ضغط وتأثير متنوعة .

وربما توقع البعض ان يكون الهم الفلسطيني الاول في هذه المرحلة الدقيقة هو صيغةالمواجهة مع العدو الاسرائيلي ، في ظل الاوضاع التي استجدت بعد غزو لبنان وتشتيت المناضلين الفلسطينيين في اطراف العالم العربي واقاصيه . ولكن التجربة الفلسطينية المرة طرحت اولويات اخرى ، حتى باتت مواجهة الضغوط العربية هي الهم الفلسطيني الأول ، في اول مجلس وطني يعقد بعد الشتات الرابع !

○ حرب الأسعار النفطية

في الوقت الذي بدأت فيه أسعار النفط في الانخفاض بقرارات مباشرة من بعض الدول المنتجة للنفط سرت في أسواق المال العالمية نوبة من القلق ، بينما بدأت الدوائر الغربية في حساب ما سوف تجنيه من مكاسب بسبب انخفاض الأسعار . من ذلك مقال نشرته صحيفة التايم في أوائل جمادى الأولى جاء فيه :

ان اكثر الاقتصاديين يعتقدون ان منافع هبوط الاسعار اكثر من مضارها .
وهناك جدل كبير حول المنافع التي يحدثها انخفاض السعر ولكن العقول الالكترونية في بنك اكسبرس الاميركي ، تقدر ان الانتاج العام في أربع وعشرين من الدول الصناعية سيرتفع بمقدار ٢,٢٥ بالمائة بدلا من ١,٥ بالمائة التقدير السابق ، ومثل هذا الارتفاع يعني انتاج بضائع تساوي قيمتها ٥٥ ألف مليون دولار .
كما أن التضخم سوف ينخفض من ٦,٢٥ بالمائة الى ٥,٧٥ بالمائة .

على حين تناول عدد من الصحف العربية المسألة من زاوية أخرى ، فصحيفة القبس الكويتية نشرت مقالا في ١٧ جمادى الأولى تحت عنوان (قضية حصار لا قضية أسعار) جاء فيه :

ليست قضية « اوبيك » وتخفيض اسعار نفط ... بل هى قضية محاصرة العالم العربي ونزع سلاحه واخضاعه . والعملية تقودها الولايات المتحدة وتنفذها بواسطة حلفائها في أوروبا واسيا .

الحصار الذي ضربته اميركا على العالم العربي ، شبيه بالحصار الذي ضربته اسرائيل على بيروت . وكما انتزعت اسرائيل البندقية من يد المقاومة الفلسطينية في لبنان على الاقل ، تسعى اميركا الى انتزاع بندقية النفط من اليد العربية وتعطيل دورها في مجموعة اوبيك على الاقل .

العالم الصناعي بزعامة اميركا بدا في ضرب حصاره على نفط « اوبيك » في مؤتمر قمة طوكيو الذي عقد في يونيو سنة ١٩٧٩ ، وحضره زعماء الولايات المتحدة واليابان والمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا وايطاليا وكندا .

ومنذ قمة طوكيو لم توضع خطة مقابلة شاملة في الاوبيك لما خططه زعماء الغرب الصناعي ، أو على الاقل لم تكن خطط الاوبيك فعالة بما فيه الكفاية . ولدى الاوبيك ما تفعله ويكون أكثر أهمية من الصراخ وتبادل التهديدات بتخفيض الاسعار ، وهو محاولة فك الحصار بأساليب أكثر جدوى على المدى الطويل .

ويعتقد بعض خبراء النفط العرب أن دول مجلس التعاون الخليجي ليست مضطرة إلى تخفيض أسعار النفط . وقد وردت جملة من الحقائق عن هذه الفكرة في مقال نشرته جريدة الوطن الكويتية في ٢٠ جمادى الأولى جاء فيه :

والجدير بالذكر ان سعر « نفط الاشارة » والبالغ اليوم ٣٤ دولارا اقل بمقدار عشرين دولارا على الاقل من السعر الواجب ان يكون عليه لو ترك موضوع تحديده اساسا الى عوامل العرض والطلب ، ولم يستقر هذا الرقم على ما هو عليه الا بسبب سياسات تجميد الاسعار واغراق السوق النفطي بالانتاج الزائد والتي انتهجتها بعض الدول المنتجة للنفط داخل منظمة الاوبك ، بل ان سعر ٣٤ دولارا سيكون اقل من ذلك الرقم لو اخضعناه الى مقاييس التضخم العالمي الذي اصاب موارد دول الاوبك جميعها ، والخلاصة في هذه النقطة بالذات ان سعر « نفط الاشارة » الحالي يشكل رقما اقل من الرقم « العادل » الذي يجب ان تتقاضاه الدول المنتجة للنفط ثمنا لهذه المادة ، ومن ناحية اخرى فان علينا ان نقرر حقيقة اخرى الا وهى الاحتياج العالمي لنفط دول الاوبك ، والذي بلغ في ادنى مستوياته سبعة عشر مليون برميل يوميا ، ويخص دول مجلس التعاون اكثر من نصف هذه الكمية ، ولا يمكن للعالم الصناعي ان يستغنى عن نفط دول مجلس التعاون ، ولا تستطيع دول الاوبك الاخرى ان تغطي هذه الكمية مهما حاولت زيادة انتاجها .

ان هذه الحقائق المبدئية تجعل دول مجلس التعاون في وضع يمكنها من الدفاع عن السعر والمحافظة عليه ، ولذلك تصبح الدعوة لترتيب تخفيض على اسعار نفط دول مجلس التعاون بحدود اربعة الى سبعة دولارات بادرة خطيرة في حد ذاتها ، وخطوة لا ضرورة لها ، وسيتبع ذلك ان تقوم الدول الاخرى بالاوبك باجراء تخفيض مماثل او اكثر مما يشكل الدخول في حرب علنية للاسعار في ما بينها ، ومما يؤدي الى عواقب وخيمة تصيب جميع الاطراف بضرر بالغ لا يمكن تفاديه .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

- كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .
- موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .
- المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .
- ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .
- لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .
- يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .
- النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .
- ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .
- البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .
- لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

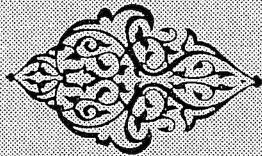
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : انشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٢٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ